الي دار السرور والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور
وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحيا، قالوا انا لنستحيي فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون
فتبين ان ذلك يناقض الحيا من الله ولما قدم عليه بعض الوفود وقالوا انا مومنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر
عند البلا، والشكر عند الرخا، والرضا بمواقع القضا، وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعدا، وقال صلى الله عليه وسلم
ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم
وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جا، بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له
الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال
حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبيا، ويعملون عمل الجبابرة فمن جا، بلا اله الا الله ليس فيها شي
من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخا من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من
شك وقال ايضا صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله بعيد من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله
بعيد من الناس قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخا ثمرة الزهد والثنا، على الثمرة ثنا على المثمر
لا محالة وروي ابن المسيب عن ابي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل
الله عز وجل الحكمة قلبه فانطلق بها لسانه وعرفه دا، الدنيا ودواها واخرجه منها سالما الي دار السلام وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي العوامل وكانت من احب اموالهم
اليهم وانفسها عندهم لانها تجمع اللبن والظهر واللحم والوبر لعظمها في قلوبهم قال الله تعالي واذا العشار عطلت
قال الراوي فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا
لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عز وجل عن ذلك ثم تلا قوله ولا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجا
منهم وروي مسروق عن عايشه رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله عز وجل فيطعمك قالت
وبكيت لما رايت بك من الجوع فقال يا عايشه والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا
ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا علي شبعها وفقر الدنيا علي غناها وحزن
الدنيا علي فرحها يا عايشه ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لال محمد يا عايشه ان الله عز وجل لم يرض لاولي العزم
من الرسل الا الصبر علي مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما
صبر اولوا العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله وروي
عن عمر رضي الله عنه انه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها البس لين الثياب
اذا قدمت عليك الوفود من الافاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر يا حفصة الست تعلمين

انا اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت بلى فقال ناشدتك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث في
النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو واهل بيته حتى فتح الله عز وجل عليه خيبر ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة
فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك ووضع على الارض ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان ينام على عباءة مثنية فثنيتموها له باربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام ليلة بهذا
العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع
ثيابه ليغسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلوة فما يجد ثوبا يخرج به الى الصلوة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة
من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين ازارا ورداء وبعث اليه باحدهما قبل ان يبلغ الآخر فخرج
الى الصلوة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما زال حتى ابكاها وبكى عمر رضي
وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر رضي الله عنه وهو انه قال كان لي صاحبان
سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما واني والله ساصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك
معهما عيشهما الرغد وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء يبتلى احدهم
بالفقر ولا يجد الا العباء وان كان احدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم
وعن ابن عباس رضي قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من الهزال فهذا ما كان اختار •
انبياء الله ورسله وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي انه لما نزل قوله تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة الى قوله بعذاب اليم قال صلى الله عليه وسلم تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم فقلنا
نهانا الله عز وجل عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا
وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا
على الآخرة ابتلاه الله عز وجل بثلاث هم لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا يشبع ابدا وقال صلعم
لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته
وقال عيسى عليه السلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فقال
اذهبوا فابنوا بناء على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء فقال وكيف يستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض على ان يجعل بطحاء مكة ذهبا فقلت يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما
اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له محمد والذي بعثك بالحق

ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله عز وجل القيامة ان تقوم فقال لا ولكن هذا اسرافيل عليه السلم قد نزل اليك
حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال له ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض
عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا ملكا وان
شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبرئيل عليه السلم ان تواضع لله فقال نبي عبد ثلثا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد
خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد
فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يؤتيه الله عز وجل علما بغير تعلم وهدى
بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار
لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ويروى عن نبينا
وعن عيسى صلوات الله عليهما اربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجميع
الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن ايرادها فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا
وذم حبها لا يمكن ايرادها فان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن الدنيا الى الآخرة فاليه يرجع اكثر كلامهم
مع الخلق وفيما اوردناه كفاية واما الآثار فقد جاء في الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله ما لم
يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله
قال الله كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الآخرة
ابلغ من زهد في الدنيا وقال الصحابة ايضا لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله صلعم
وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب
والجسد وقال بلال بن سعد رحمه الله عليه كفى به اثما ان الله عز وجل يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال
رجل لسفين اشتهي ان ارى عالما زاهدا قال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانيه
ابواب فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في الدنيا
والعاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط رحمه الله اني لاشتهي من الله عز وجل ثلث خصال ان اموت حين اموت
وليس في ملكي درهم فلا يكون علي دين ولا على عظمي لحم اعطى ذلك كله ويروى ان بعض الخلفاء ارسل الى
الفقهاء بجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بن عياض بعشرة الف فلم يقبلها وقال له بنوه قد قبل الفقهاء
وانت ترد على حالك هذه فبكى الفضيل رحمه الله وقال اتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة
يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها بدل ان لا ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا جوعا يا اهلي

خيركم من ان تدعوا فضيلا وقال عبيد بن عمير رحمه الله كان عيسى بن مريم عليه السلام يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له ولد يموت
ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اينما ادركه المساء نام وقالت امراة ابي حازم لابي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من
الطعام والثياب والحطب فقال ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله
عز وجل ثم الجنة او النار وقيل للحسن رحمه الله عليه لم لا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال ابرهيم بن ادهم رحمه الله
قد حجبت قلوبنا بثلثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح
فاذا فرحت بالموجود فانت حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب
والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله عز وجل من عبادة المتعبدين
المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكانه
التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون
عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدي الى الصحة اكثر منه في الاعطاء المؤدي الى السقم وكان الثوري رحمه الله
يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل رحمة الله عليه
يقول لا يخلص العمل للمتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشياء الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن رضي الله عنه ادركت
اقواما وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون على شيء من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم
اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض
شيء ولا امر في بيته بصنعة طعام قط فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم
يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها وسالوا الله عز وجل ان يتقبلها واذا عملوا السيئة
احزنتهم وسالوا ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة **بيان درجات الزهد**
واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب
تفاوت قوته على ثلث درجات الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مائل ونفسه
اليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد
بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في
الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة
بها في قليل او كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي
يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق ذلك عليه وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى
لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه

انه ترك شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد
في زهده فلا يري زهده اذ لا يري انه ترك شيا اذ عرف ان الدنيا لا شي فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا
يري ذلك معاوضة ولا يري نفسه تاركا شيا والدنيا بالاضافة الي الله تعالى ونعيم الآخرة اخس من خزفة بالاضافة الي
جوهرة وهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة وقيل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا
الدنية كما ان تارك الخزف بالجوهرة امن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد رحمه الله لابي موسي عبد الرحيم
رحمه الله في اي شي تتكلم في شي الدنيا لا شي ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة
فقال في الزهد قال في اي شي قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شي
وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب علي بابه فالقي اليه
لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افتري انه يري
لنفسه يدا عند الملك بلقمة القاها الي كلبة في مقابلة ما ناله فالشيطان كلب علي باب الله تعالى يمنع الناس من
الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب
بالابتلاع ثم يبقي ثقلها في المعدة ثم ينتهي الي النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الي اخراج ذلك الثقل فمن تركها
لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة
الي نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الي ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الي ما لا نهاية له والدنيا متناهية على
القرب ولو كانت تتمادي الف الف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها الي الابد فكيف ومدة العمر قصيرة
ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة لها الي نعيم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الي زهده الا اذا التفت
الي ما زهد فيه ولا يلتفت الي ما زهد فيه الا ان يراه شيا معتدا به ولا يراه شيا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب
نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات
اذ صبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر
التفاته الي زهده واما انقسام الزهد بالاضافة الي المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات الدرجة
السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن ساير الآلام ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير
ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار وفي الخبر ان الرجل يوقف في الحساب حتى لو وردت
مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من
الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله عز وجل ونعيمه واللذات الموعودة في جنته
من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هولاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم
بل طمعوا في وجود دايم ونعيم سرمد لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله عز وجل [illegible]

لغايته ولا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق
بالهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله عز وجل لان من طلب غير
الله عز وجل فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله تعالى من الشرك الخفي وهذا
زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار وعرف الدرهم وعلم انه
لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله تعالى وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع
بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن لا يحب الا لذة النظر ولا
يؤثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور في قلوبهم متسع بل تلك اللذة
بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة
الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب
للعب بالعصفور التارك لذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى
والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت
فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط
بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل
وللتفصيل مراتب بعضها اشرح لآحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل
ما سوى الله عز وجل فينبغي ان يزهد فيه نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس
فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها
وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع حظوظ النفس وفي الدرجة
الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار
والدرهم اذ الاموال وان كثرت فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة
واعني به كل علم وقدرة مقصودهما ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى
المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن
الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في آية
اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
ثم رده في موضع آخر الى اثنين فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى الواحد في موضع آخر فقال

ونهي النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالهوى لفظ يجمع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون
الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في
الشرح مرة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن
حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فتقصر امله لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدايم بارادة البقاء
فان من اراد شيا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة دوام الاحب دوام ما هو موجود او ممكن في هذه الحيوة فاذا رغب
عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قال الله تعالى
قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين
اما الزاهدون المحبون لله قاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى
القتال يستنشقون رايحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين او نيل
رتبة الشهادة وكل من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر للموت
على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الان اموت موت العجايز
فلما مات عد على جسده ثماني ماية ثقب من آثار الجراحات فهكذا كان حال الصديقين الصادقين في
الايمان رضي الله عنهم اجمعين واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون
منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو ادنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله عز وجل اشترى منهم انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة او ثلثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا
به فهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكروه في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر
كل واحد ما رآه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه قال بشر رحمه الله الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس
وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك
من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذا اشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر
وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل رحمه الله الزهد هو القناعة وهذا اشارة الى المال خاصة وقال
الثوري رحمه الله الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء
فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن الشهوات كلها وقال اويس رضي الله عنه اذا خرج يطلب ذهب الزهد
وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطا في الزهد وقال اويس ايضا الزهد هو ترك الطلب للمضمون
وهو اشارة الى الرزق وقال اهل الحديث الدنيا هو العمل بالراي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم

السنة وهذا ان اريد به الراي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الي بعض اسباب
الجاه خاصة او الي بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فايدة فيه في الآخرة وقد طولوها حتى يتقضي
عمر الانسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد
الذي اذا راي احدا قال هذا افضل مني فذهب الي ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة الي نفي الجاه والعجب وهو
بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال اويس رضه
ولا شك في انه اراد طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط رحمه الله يقول من صبر علي الاذي وترك الشهوات
واكل الخبز من حلال فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلنا فلم نر في نقلها فايدة فان من
طلب كشف حقايق الامور من اقاويل الناس راها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في
نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع علي قصور من قصر لقصور بصيرته او علي
اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصاره علي حاجته وهولاء كلهم قصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما
ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب
الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة
عنها تختلف واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل
في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد
عندنا ترك كل شي يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث
فقد ركن الي الدنيا فجعل جميع ذلك ضدا للزهد وقرا ابو سليمان قوله الا من اتي الله بقلب سليم قال هو القلب
الذي ليس فيه غير الله تعالي وقال انما زهدوا في الدنيا ليفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام
الزهد بالاضافة الي اصناف المزهود فيه بالاضافة الي احكامه فينقسم الي فرض ونفل وسلامة كما قال ابرهيم
بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد
ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس رضي الله عنه ما
الزهد قال التقوي واما بالاضافة الي خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما يتمتع به النفس في الخطرات
واللحظات وساير الحالات لا سيما خفايا الريا فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلما بل الاموال الظاهرة
ايضا درجات الزهد فيها لا يتناهي فمن اقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال
له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد قال توسدت الحجر اي تنعمت برفع راسك
عن الارض في النوم فرمي الحجر وقال خذه فيما تركته لك وروي عن يحيي بن زكريا صلوات الله عليهما انه لبس المسوح

حتى نقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حسن المس فسألته امه ان يلبس مكان المسح جبة
من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت الدنيا علي فبكى فنزع الصوف وعاد الى ما كان وقال
احمد رضي الله عنه الزهد زهد اويس بلغ من العري ان جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلم في ظل حايط انسان
فاقامه صاحب الحايط فقال ما اقمتني انت انما اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحايط فاذا درجات
الزهد ظاهرا وباطنا لا تحصرها واقل درجات الزهد في كل محظور وشبهة قال قوم الزهد هو الزهد في الحلال
لان في الشبهة والمحظور فليس ذلك من درجاته شي ثم راوا انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن
فان قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله عز وجل فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس
ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال
بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضروريات النفس فما اقتصرت من الدنيا على
دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم يكن مشتغلا بغير الله فان ما لا
يتوصل الى الشي الا به فهو منه فالمشتغل بعلف الدابة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي
ان يكون بدنك في طريق الله عز وجل مثل ناقتك في طريق الحج فلا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك
مقصور على دفع المهلكات حتى تسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان يكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش
المهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ
بل التقوي على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد فان قلت لا بد وان التلذذ بالاكل عند
الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله
الى زوال الم العطش ومن يقضي حاجته يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده مطلوبا بالقصد
فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا
لم يقصد طلب موضع هذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخايفين من
طلب موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس الى الدنيا
ونقصان في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله عز وجل ولذلك كان لداود الطايي رحمه الله حب مكسور فيه
ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة
الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا ومدته قريبة والاحتمال
مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة
اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة

اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الي فضول والي مهم فالفضول كالخيل المسومة مثلا اذ غالب الناس انما
يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر علي المشي والمهم كالاكل والشرب ولسنا نقدر علي تفصيل اصناف الفضول
فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد
من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب
لاغراض وهذه الستة من جملتها وقد ذكرنا معني الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء
من ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر علي بيان هذه المهمات الست فنقول الاول المطعم ولا بد للانسان من
قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض ولا بد من قبض طوله وعرضه حتي يتم به الزهد فاما طوله فبالاضافة
الي جملة العمر فان من يملك الطعام يومه قد لا يقنع به واما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله فاما طوله
فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد فيه الاقتصار علي قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض
ومن هذا حاله فاذا اشتغل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية
ان يدخر لشهر او لاربعين يوما الثالثة ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة الضعفاء من الزهاد ومن ادخر لاكثر
من سنة فتسميته زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم منه الزهد الا اذا
لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من ايدي الناس كداود الطائي فانه ورث عشرين دينارا فامسكها
وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرطا للزهد واما عرضه فبالاضافة
الي المقدار فاقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله
عز وجل في طعام المساكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر علي
الاقتصار علي مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب واما بالاضافة الي الجنس فاقله كل ما يقتات ولو كان
الخبز من النخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميز من النخالة وصار حوارى فقد
دخل في التنعم وخرج عن آخر ابواب الزهد فضلا عن اوائله واما الادام فاقله الملح او البقل او الخل واوسطه
الزيت او يسير من الادهان اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان
صار دائما او اكثر من مرتين في الاسبوع خرج من آخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا
واما بالاضافة الي الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم ويشرب
ليلة ولا ياكل وياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ينتهي الي ان يطوي ثلثة ايام او اسبوعا وما زاد عليه وقد ذكرنا
طريق تقليل الطعام وكسر شهوته وشرهه في ربع المهلكات ولينظر الي احوال رسول الله صلي الله عليه وسلم
والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادام قالت عائشة رضي الله عنها كانت تاتي اربعون ليلة وما اوقد

في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباحاً ولا ناراً قيل لها فبم كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والما
وهذا ترك اللحم والمرقة والادام وقال الحسن رضه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف
وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه ويأكل على الارض ويقول انا عبد اكل كما ياكل العبيد وقال عيسى عليه السلم
بحق اقول انه من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلعم
منذ قدم المدينة ثلثة ايام من خبز البر وقال عيسى علم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري
وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره وقد ذكرنا سيرة الانبياء والسلف في المطعم في ربع المهلكات
فلا نعيدها ولما اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة من عسل فوضع القدح
من يده فقال اما اني لست احرمها ولكن اتركها تواضعاً لله واتي عمر رضه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صايف
فقال اعزلوا عني حسابها فقد قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر
ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب
انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب
فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته
والجنة مبلغه انشاء الله عز وجل المهم الثاني الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة
وهو كسا يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز
هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه
بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج عن جميع ابواب
الزهد هذا من حيث القدر اما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن
الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوماً حتى رقع بعضهم ثوبه بورق البقل
وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهراً وما يقاربه وطلب ما يبقى اكثر من سنة
خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن
وجد زيادة من ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهداً بل كان محباً للدنيا ولينظر فيه الى
احوال الصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة رضي الله عنه اخرجت لنا عايشة رضي الله عنها كساء ملبداً وازاراً
غليظاً فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب المتبذل
الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العبسي رضه لا البس مشهوراً ابداً ولا انام بليل على دثار ابداً ولا
اركب على ماثور ابداً ولا املاء جوفي من طعام ابداً فقال عمر رضه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلعم

فنظر الى عمر بن الاسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله عز وجل عنه حتى نزعه وان كان عنده حبيبا
واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيهم عشرة وكان ازاره اربعة اذرع ونصفا واشترى
سراويلا بثلثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد
وربما كان يلبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه قميص زيات ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان
اصحابه يلمسونه ويقولون يا رسول الله انزل هذا عليك من الجنة تعجبا وكان قد اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية
فاراد ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه انما
لبسه اولا تاكيدا للتحريم كالبس خاتما من الذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعايشة رضي الله عنها
في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة اولا ثم حرمها لتاكيد
امر النكاح وقد صلى رسول الله صلعم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر اليها اذهبوا بها الى ابي جهم
وائتوني بانبجانيه يعني كساء فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد
فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتما
فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وقال صلى الله عليه وسلم قد احتذى
نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخر ساجدا ثم قال اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما
فدفعهما الى اول مسكين رآه وعن سيار بن سعد قال حيكت للنبي صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف انمار
وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما احسنها ما الينها فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله
هب هالي قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا لم يبخل به قال فدفعها اليه وامر ان تحاك له واحدة اخرى
فمات صلى الله عليه وسلم وهي في المحاكة وعن جابر رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة
رضي الله عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى فقال يا فاطمة تجرعي مرارة
الدنيا لنعيم الابد فانزلت عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار امتي فيما انبأني
الملأ الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة
وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش فهذه كانت
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي
وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها خاصة وقال لها

ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعدّ على قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثنا عشر رقعة بعضها من ادم واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع
كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك
عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد
من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة فامقته فلا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفين ونعله بدرهم
واربعة دوانق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من
الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمان رحمه الله الثياب ثلثة
ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه
وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم من بين العشرين الى
الثلاثين وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على راسه
وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي الخبر البذاذة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر
عليه تواضعا لله عز وجل وابتغاء لوجهه كان حقا على الله عز وجل ان يدخر له من عبقري الجنة في تخات
الياقوت واوحى الله تعالى الى بعض انبيائه قل لاوليائي لا يلبسوا ملابس اعدائي ولا يدخلوا مداخل اعدائي فيكونوا
كما هم اعدائي ونظر رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس
وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر رضي الله عنه في بزته
فجعل يتكلم في الزهد فوضع ابو ذر رضي الله عنه راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر رضي الله عنه
فقال انت صنعت بنفسك تتكلم بالزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل اخذ
على ائمة الهدى ان يكونوا في مثل ادنى احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره ولما عوتب
في خشونة لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وروي فضالة بن عبيد رضي الله عنه وهو والي مصر اشعث
حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا ان نحتفي
احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف
النعل وكل دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر
وقال علي رضي الله عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتي الذين غذوا
بالنعيم ويطلبون الوان الطعام والوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ازرة المومن الي انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله
يوم القيمة الي من جر ازاره بطرا وقال ابو سليمان رحمه الله قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي
الا مرائي او احمق وقال الاوزاعي رحمه الله لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع
علي قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الي مدرعة الصوف فسكت فقال اكلمك
فلا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمان لما اتخذ الله تعالي
ابرهيم خليلا اوحي الله اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شي الا واحدا سوي السراويل فانه
كان يتخذ سراويلين فاذا اغتسل احدهما لبس الاخر حتي لا ياتي عليه حال الا وعورته مستورة وقيل لسلمان
الفارسي ما لك لا تلبس الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلي
ابدا ويروي عن عمر بن عبد العزيز انه كان له جبة شعر وكسا شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي وقال الحسن
لفرقد السبخي تحسب ان لك فضلا علي الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية وقال
يحيي بن معين رايت ابا معوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت
انك تكسي خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم في الجنة كل مصيبة فجعل يحيي بن معين
يحدث بهذا الحديث ويبكي المهم الثالث المسكن والزهد فيه ايضا ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب
موضعا خاصا لنفسه بل يقنع بزوايا المساجد كاصحاب الصفة واوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه
مثل كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشرا او باجارة فان كان
قدر سعة المسكن علي قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد
وان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد
في المسكن فاختلاف جنس البناء بان كان من الجص والقصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره بالسعة
والضيق واختلاف طوله بالاضافة الي الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او مستعارا وللزهد مدخل
في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين
ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والايدي
واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له
بعيد من الزهد جدا وقد قيل اول شي ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم التدريز والتشييد
يعني بالتدريز كف درز الثياب فانها كانت تشل شلا والتشييد هو البنيان بالجص وانما كانوا
يبنون علي السعف والجريد وقد جا في الاثر ياتي علي الناس زمان يوشون بنيانهم كما يوشي البرد اليمانية

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم علية كان قد علاها ومر عليه السلام بجنبذ معلاة فقال
لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاء الرجل اعرض عنه فلم يكن مقبل عليه كما كان فسال الرجل اصحابه عن
تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر بانه
هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على
قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن
عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا قلنا لنا خص وقد وهى فقال
صلى الله عليه وسلم ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا
كثير لمن يموت وقال الحسن دخل علي صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته
فقال كم من رجل قد مات وهذا قايم على حاله وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان
يحمله يوم القيمة وفي الخبر كل نفقة العبد يوجر عليها الا ما انفقه في الماء والطين وفي قوله تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول في البنيان وقال كل
كل بناء وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما اكن من حر وبرد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا اليه
ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص واجر
فكبر وقال ما كنت اظن ان يكون هذا في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول الله تعالى
حكاية عن فرعون فاوقد لي يا هامان على الطين يعني به الاجر ويقال ان فرعون اول من بني له بالجص والاجر
واول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار
فقال ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رايته مبنيا من رهص ثم رايته الان مبنيا
باللبن قال وكان في اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص وكان اصحاب الرهص خيرا من اصحاب اللبن
وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنيانه وقصر امله وزهده في احكام البنيات
وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود
وهي عادة العرب الان ببلاد اليمن وكان ارتفاع بناء السلف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت
بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة
اذرع ناداه ملك الى اين يا افسق الفاسقين وقد نهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر
الناس لما شيدوا فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب من بنى وترك ولكن اعجب من نظر اليه
ولم يعتبر وقال ابن مسعود ياتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى

قبلتكم ويمرون على غيره بكم المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى
عليه السلم اذ كان لا يصحبه المشط ورأى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل اثاث
فانه انما يراد لمقصود فاذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه يقتصر فيه على
اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود
يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه لكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد
كالذي معه قصعة يشرب فيها وياكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون آلة
واحدة في اشياء للتخفيف واعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان
زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة فقد قالت عايشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله
صلعم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلعم
الا عباءة مثنية ووسادة من آدم حشوها ليف وروي ان عمر بن الخطاب رضه دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو نايم على سرير مرمول بشريط فجلس فراى اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم
فدمعت عينا عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى
وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نايم على سرير مرمول بالشريط
فقال صلى الله عليه وسلم اما ترضى يا عمر ان تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك
كذلك ودخل رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا
غير ذلك من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فقال انه لابد لك من متاع ما دمت
ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر فقال له ما معك
من الدنيا فقال معي عصاي اتوكا عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي احمل فيه طعامي
ومعي قصعتي اكل فيها واغسل فيها راسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها شرابي ووضوئي للصلوة
فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله وقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها سترا وفي يدها قلبين من فضة
فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ابو رافع
فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت
بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف

وتصدق بها عليهم فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت قد احسنت ورأي رسول الله
صلى الله عليه وسلم على باب منزل عايشه رضى الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي الى
آل فلان وفرشت له عايشه ذات ليله فراشا جديدا وكان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية
فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخليقه ونحي هذا الفراش عني فقد
اسهرني الليلة وكذلك اتته دنانير خمسة او ستة عشيا فسهر ليلته حتى اخرجها من آخر الليل
قالت عايشه رضى الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه
عنده وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض
ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه المهم الخامس المنكح وقد قال قايلون
لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله قال قد حبب الى سيد الزاهدين
النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب رضى الله عنه
وكان له اربع نسوة وبضع عشر سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال كل ما يشغلك عن الله
من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم والمراة قد تكون شاغلة عن الله وكشف الحسن فيه انه قد يكون
العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون
النكاح افضل لدفع شهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن عليه آفة في تركه
ولا في فعله ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فذلك
من الزهد وان علم ان المراة لا تشغل عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة
فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من
القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره اذا لم يكن هي المطلب والمقصد
وهذا كمن ترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء
لان في ترك ذلك فوات بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذة
من غير خوف لذة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا
فمن حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن
والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى يتصور ذلك
لغيره من الانبياء والاولياء فان اكثر الناس يشغلهم كثرة النسوة فينبغي ان يترك الاصل ان كان
يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان يشغله الكثرة منهن او جمال المراة فلينكح واحدة غير جميلة

ولم يراع قلبه في ذلك وقال ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المراة الدون او اليتيمة على المراة الجميلة
والشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشتغل قلبه بثلث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث
والتزويج وقال احب للصوفي ان لا يقرا ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل
فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال
والجاه لما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل
من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه
لانه ان لم يكن عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدرة والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول
قريب ولكن يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في
القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر او الخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم
وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة ولما دفع الضر فيحتاج لاجله
الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيه او يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب
او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا لم ينضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض
في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله
بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين
واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ
من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب
الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة
الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا
اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام وهذا شرط الزهد
فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت
له ضيعة ولم تكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا
القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان
شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج عن حد الزهاد
يعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد لا يفارقه
بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل وقال

ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل اهله الي الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم ويفعل بنفسه ما شاء
معناه ان التضييق المشروط علي الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم
ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة رضي
الله عنها بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذا ما يضطر اليه الانسان من جاه
ومال ليس بمحذور بل الزايد على الحاجة سم قاتل والمقتصر علي الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات
متشابهة فيما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن
دواء نافعا ولكنه قليل الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن
احتاط فانما غلط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرا لدينه وترك ما يريبه الي
ما لا يريبه ورد نفسه الي مضيق الضرورة فهو الاخذ بالجزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر
علي الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الي الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين
والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابرهيم صلوات الله عليه اصابته حاجة فذهب الي
صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله تعالي اليه لو سالت خليلا لاعطاك
فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها شيئا فاوحى الله تعالي اليه ليس الحاجة من
الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك يعرفه
من تجرب احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة وكسب المال وحفظه وجمعه واحتمال الذل فيه وغاية
سعادته ان يسلم لورثته فياكلونه وربما يكونون اعداءه وقد يستعينون به علي المعصية فيكون هو
معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز اذ لا يزال ينسج علي نفسه حتى
يقيدها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمل بنفسه قال الشاعر
كدود كدود القز ينسج دايما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه وكذلك من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم
علي قلبه وسلاسل يقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل
والولد وشماتة الاعداء ومراياة الاصدقاء وساير حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطا فيه وقصد
الخروج من الدنيا لم يقدر عليه وراى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر علي قطعها ولو ترك محبوبا
من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الي ان يفرق ملك الموت بينه
وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهو تجاذبه
الي الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الي الآخرة فيكون اهون احواله عند الموت

ان يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين والذي ينشر بالمنشار
انما يتألم المؤلم ببدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث اثره فما ظنك بالم يتمكن اولا من صميم القلب
مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب يلقيه وذلك لما يراه من حسرة فوت التزهد في
اعلى عليين وجوار رب العالمين فالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب يتسلط عليه
نار جهنم اذ النار غير مسلط الا على محجوب قال الله تعالى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم
فرتب العذاب بالنار على الم الحجاب والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة اليه فنسأل
الله تعالى ان يقرر في اسماعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب من احببت فانك مفارقه
ولما انكشف لاولياء الله تعالى ان العبد مهلك نفسه باعماله واتباع هوى نفسه اهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا
بالكلية حتى قال الحسن رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله تعالى عليكم وفي لفظ آخر
كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء ولو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق
ولو رأوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له الحلال فلا يأخذه يقول اخاف ان يفسد
على قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله تعالى
عنهم اذ قال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا
يكسبون وقال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه واتبع هويه وكان امره فرطا وقال الله تعالى فاعرض عمن تولى عن
ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل
لعيسى عليه السلام احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني فقال لا استطيع فقال عليه السلام بعجب يدخل
الغني الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون في الآفاق باربعة
اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم من اللذين بالمشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر
اقصر ويقول الآخر اللهم اعط كل منفق خلفا واعط كل ممسك تلفا ويقول احد اللذين بالمغرب لدوا
للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب

بيان علامات الزهد

اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح
بالزهد فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة
احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد
في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس
الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال قوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر

من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدي لهم مثل لباسهم ليلا ينظر اليهم بالعين التي ينظر بها الى
الفقراء فيحتقروا فيعطوا لهم كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء
داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقايق والجئوا الى المضايق
وكل هولاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم
فغلبتهم فادعوا حالا لهم ما يلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص فاذا معرفة الزهد مشكل
بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات العلامة الاولى ان لا يفرح
بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال الله تع لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم بل ينبغي ان يكون بالضد من
ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده العلامة الثانية ان يستوي عنده ذامه ومادحه فالاول علامة
الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه العلامة الثالثة ان يكون انسه بالله والغالب على قلبه حلاوة
الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله تع وهما في القلب كالماء والهواء
في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك
قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله واما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمع وقد قال
اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب
وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها وهذا ورد في دعاء آدم اللهم اني اسئلك ايمانا يباشر قلبي قال
ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا
مقام العارفين والزاهد لا بد ان يكون في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشغل بنفسه وعند
ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده اصلا
قال ابن ابي الحواري قلت لابي سليمان اكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه
عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك الدنانير قال اردت منه ان بلغ حقيقة
الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها
وكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره
ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعل عيسى صلوات الله عليه فنسئل الله تع ان يرزقنا من مباديه
نصيبا وان قل فان امثالنا لا يجترئ على الطمع في غاياته وان كان قطع الرجاء من فضل الله غير ماذون فيه
واذا لاحظنا عجايب نعم الله علينا علمنا ان الله لا يتعاظمه شيء فلا بعد في ان يعظم السؤال اعتمادا
على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علامة الزهد استواء الغنى والفقر والذل والعز والمدح والذم وذلك

لغلبة الانس بالله ويتفرغ من هذه العلامات علامات آخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها
وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي فلا يقول ابني رباطا او اعمر مسجدا وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد السخاء
بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضا الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا
بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه
رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل وسفيان علامة الزهد قصر الامل وقال السري لا يطيب عيش الزاهد
اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصرابادي الزاهد غريب في الدنيا
والعارف غريب في الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاثة عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة
وقال ايضا الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل متى ادخل حانوت
التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك لنفسك في السر الى حد لو قطع الله
عنك الرزق ثلثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا
امن ان تفتضح وقال ايضا الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف
شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شيء من امر الزهد
فنلت منه ما اريد الا الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت
وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها فهذا ما اردنا ان نذكره
في حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه انشاء الله تعالى

كمل كتاب الفقر والزهد بحمد الله
وحسن توفيقه والصلوة والسلم
على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليما

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المدبر للملك والملكوت المتفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عماد المقدر فيها ارزاق العباد الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب عن ملاحظة الاوساط والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه والاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا الا اياه علما بانه الواحد الفرد الصمد الاله وتحقيقا بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى عندهم الرزق وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه رزاق عباده ضامن وكيل توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلوة على محمد قامع الاباطيل الهادي الى سواء السبيل وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا **اما بعد** فان التوكل منزلة من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان يرى اسبابا تغيير في وجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة هذا الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا ونحن الآن نبتدي بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني

بيان فضيلة التوكل اما من الآيات فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه حسيبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الآية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجا الى ذماره وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على

تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل ما سوى الله عبد ممتحن حاجته مثل
حاجتك فكيف تتكل عليه وقال تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
وقال تعالى ولله خزاين السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تعالى يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه
وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما رواه عبد الله بن مسعود رضي اريت الامم بالموسم فرايت امتي قد ملاوا السهل والجبل فاعجبني كثرتهم
وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هولاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول
الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه
فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر وقال ادع الله لي ان يجعلني منهم فقال
صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشه وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب
ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق
منه بما في يده ويروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول
بهذا امرني ربي قال الله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها الاية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى
واكتوى وروي انه لما قال جبرئيل لابرهيم عليهما السلم وقد رمي به الى النار من المنجنيق الك حاجة فقال اما
اليك فلا وفاء بقوله حسبنا الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به واوحى الله الى داود علم يا داود ما من
عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا واما الاثار فقد قال سعيد بن جبير
لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص رحمه الله تعالى
وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا بصيرا فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه
الآية ان يلجا الى احد غير الله عز وجل وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله فقد احرز قوته وقال بعض العلماء
لا يشغلنك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما
قد كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد
وقال ابرهيم بن ادهم رحمه الله سالت بعض الرهبان من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل
ربي من اين يطعمني وقال هرم بن حيان لاويس القرني رحمه الله عليهما تامرني اين اكون فاوما الى الشام فقال
هرم كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم
متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل اعلم ان التوكل

من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل
وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدا ببيان العلم الذي هو الاصل والمسمى ايمانا في اصل
اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين
كثيرة ونحن انما نحتاج فيها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده
لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك
وله الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير فقد تم له الايمان الذي
هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل
والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال
ولا يتم علم المعاملة الا به فاذا لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا فالتوحيد هو البحر الذي
لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك
تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن وهو لب اللب
فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد
المنافق الثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام الثالثة ان يشاهد
ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على
كثرتها صادرة من الواحد القهار الرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه
الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا
بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم
صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خالي
من تكذيب ما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه
عن العذاب في الآخرة ان توفي عليها ولم يضعف بانواع المعاصي وفنون الآثام عقدتها والثالث
موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة الا واحد وقد انكشف
له الحقيقة كما هي عليه الا انه كلف قلبه ان يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة الرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في
شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد
فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كاللب والرابع كالدهن المستخرج
من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها بل ان اكلت فهي مر المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر

وان اخذت خطبا اطفات النار واكثرت الدخان وان تركت في البيت ضيقت المكان فلا تصلح الا ان تترك
مدة علي الجوز للصيانة ثم يرمي بها عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى
كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن ولكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى
القالب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب والسيف انما
يصيب جسم البدن وهو القشر وانما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فايدة بعده وكما ان القشرة السفلى
ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن
ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة
الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة
الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه اذ ذلك الشرح هو المراد
بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من
ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكله المقصود ولكنه لا يخلو عن شوايب عصارة بالاضافة
الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عالي للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوايب ملاحظة الغير
والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد
الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وساير الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان
هذا غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد قال بعض العارفين افشا
[illegible] نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك كثير ممكن وهو ان الشي قد يكون
كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان
كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشايه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى
واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله
كثرة امعايه وعروقه واطرافه وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما فهو في حالة الاستغراق والاستهتار
مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود
من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد
وباعتبار آخر سواه كثير بعضه اشد كثرة من بعض ومثال الانسان وان كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه
بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ويستفيد بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام
لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا الواحد نصيب وان لم يكن ما امنت

صفتك كما انك اذا امنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان لك نصيب منها بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي
لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا
اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث راي الخواص يدور في الاسفار فقال فيماذا انت فقال ادور في الاسفار
لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفنا
في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات
الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال فان قلت فلابد ههنا من شرح بمقدار ما يفهم به كيفية ابتنا
التوكل عليه فاقول اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول وهو
النفاق فهو واضح واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين واما الثالث فهو الذي
ينبني التوكل عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حالة التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط
التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمل امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله
تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر الى غير ذلك فيما ينطلق
عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره
بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره
وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة
اتضح لك هذا ايضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين
يبتغي به ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات
الى الجمادات اما الالتفات الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم
في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد
وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم
ان الريح مخلوقة لا تهب ولا تتحرك ما لم يحركها خالقها فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفات
من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم
الذي كتب به التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل
ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما
يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الموقع عن ان يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم

والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات تحت القدرة تسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل
في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق ان الله عز وجل هو الكاتب كما قال تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخر على هذا الوجه انصرف
عنك الشيطان خايبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فياتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات
الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله عز وجل وهذا الانسان يعطيك
رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر
عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفى عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك
ولا تشك فيه ويقول له ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند
هذا زل اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم الشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصاير
كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء من ذلك
كغلط النملة مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فرات راس القلم يسود البياض ولم يمتد بصرها الى اصابع الكاتب
ويده فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصورها عن مجاوزة راس
القلم لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله عز وجل صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات
والارض ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب
القلوب والمشاهدات قد انطق الله عز وجل في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها نطق
كل شي حتى سمعوا تقديسها و[illegible]حها لله عز وجل وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق طلق من حيث
الحقيقة لا يسمعه الذين هم عن السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر فان الجمل فيه شريك ولا قدر
لما يشارك فيه البهايم بل اعني به سمع الحقيقة والسلام فان قلت فهذه اعجوبة لا تقبلها العقول فصف لي
كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على نفسها بالعجز
فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها
كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له ولو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك والملكوت وافشاء السر لوم بل صدور الاحرار
قبور الاسرار وهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى به على ملا من الخلق ولو جاز
افشاء كل سر لما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا
ولا يضحكوا ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر

فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذا عن حكاية مناجات
ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعتان احدهما استحالة افشاء السر والثاني
خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي من مناجاتها قدرا
يسيرا نفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله عز
وجل للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا والان قد ظهر عليه السواد فلم
سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي
بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن وطنه ونزل بساحة
وجهي وفعل بي ما ترى فقال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني كنت في المحبرة وادعا ساكنا
عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني واجلاني عن
بلادي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي فقال صدقت ثم سال القلم عن
السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر عن وطنه فقال سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط
الانهار متنزها بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين فنحتت عني قشري ومزقت علي ثيابي واقتلعتني
من اصلي ثم فصلت بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني
وتمشيني على قمة راسي فقد نثرت الملح على جراحي بسؤالك وعتابك فتنح عني وسل من قهرني قال صدقت
ثم سال اليد عن ظلمها للقلم وتعديها عليه واستخدامها له فقالت اليد ما انا الا لحم وعظم ودم وهل
رايت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي ترددني
وتجول بي في نواحي الارض اما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شي منه مكانه ولا يتحرك على نفسه اذ لم يركبه
مثل هذا الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة
بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شاني فاني
مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سال القدرة عن شانها في استعمال اليد واستخدامها وكثرة
ترديدها فقالت القدرة دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي
عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت احركها
ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما يظن الظانون بي اني ميتة او معدومة لاني ما كنت اتحرك
ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة
على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني

الي ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقالت صدقت ثم سال الارادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة
المطمئنة حتى صرفتها الي التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ومناصا فقالت الارادة لا تعجل
علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر
وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص
للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت
له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة وراحة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل
او الظالم وقد وقفت عليه وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري
ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه
ازعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شاني ودع عنك عتابك
فاني مهما رحلت عن قوم وقد قدروا الا تفارقهم فالراحلون هم فقالت صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب
مطالبا لهم ومعاتبا اياهم على استنهاض الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج
ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم
اما انا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما اشرق سراج العقل وما انتقشت بنفسي فكم كان هذا اللوح
قبلي خاليا عني فسل القلم عني فان الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جواب
وقال قد طال تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الامر منه على غيره
ولكني كنت اطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال
فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من
العظم او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط
والقلم ولا اشاهد من ذلك شيئا اسمع جعجعة ولا ارى طحنا فقال له القلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك
مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك
ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت راغبا في استتمام
الطريق الي المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة
اولها ولقد كان الكاغذ والحبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني
عالم الملكوت وهو ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الي منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار
المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت ولقد قطعت منه

ثلثه منازل اذ في أوله منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت لان عالم الملك
اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه
السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض
وثباتها وكل من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى حد يقوى على ركوب
السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت
من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة
ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي به يكتب العلم وحصول
اليقين الذي يمشى به على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى صلوات الله عليه لو ازداد
يقينا لمشى على الهواء لما قيل انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري واستشعر قلبي
خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا فهل لذلك من
علامة فقال العلم نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح
القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من ابواب الملكوت
كوشف بالقلم اما ترى النبي صلى الله عليه وسلم في اول الامر كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرأ باسم
ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال
السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد
ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان الله تعالى لا يشبه ذاته سائر الذوات
فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية
من عالم الملكوت فان كنت لا تشاهد هنا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه
مذبذبا بين هذا وذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تبارك وتعالى وصفاته عن مشابهة
الاجسام وصفاتها ومماثلتها ونزهت كلامه عن مشابهة كلام البشر واخذت تتوقف في يده وقلمه
ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته شيئا من المثل
والشبه فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان آمنت بالحديث وصدقته
وسلمته من غير بحث وتنكر وتخيل واعتقاد مشابهة بوجه فكن منزها صرفا ومقدسا فخلا واطو الطريق
فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش
تنادى بما نودي به موسى اني انا ربك فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث في

التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بين النقص ولقد كان زيته الذي
في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال
له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار هدى ففتح بصره فانكشف له
القلم الالهي فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب وهو يكتب على الدوام في
قلوب البشر كلهم اصناف العلوم فتعجب منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الآن ظهر لي
صدق انبائه عن اوصاف القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال
مقامي عندك ومرادتي لك وانا عازم على السفر الى حضرة القلم فاسأله عن شأنه فسار اليه وقال له
ايها القلم ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر
وصرفها الى المقدورات فقال له أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب القلم اذ
سألته فاحالك على اليد فقال لم انس ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت لا تشبهه قال القلم أما
سمعت ان الله عز وجل خلق آدم على صورته قال بلى قال فسل عن شاني يمين الملك فاني في قبضته
هو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر
الصورة فسأل السالك القلم عن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه
قال بلى قال والاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسار السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده
بعين البصيرة ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه
بل لا يحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايادي واصبع لا
كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم فقال
جوابي ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم
لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسار السالك الى عالم القدرة فرأى فيه من العجائب
ما استحقر عندها ما قبل ذلك فسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فسل القادر اذ العمدة
على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ وان يطلق بالجرأة لسان السؤال فثبت بالقول
الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة
الحضرة فخر صعقا يضطرب في غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت
عليك وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك
من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا ان اسألك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول اشرح

صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء وتزيد على
سيد الانبياء بل ارجع اليه فما اتيك فخذه وما نهيك عنه فانته وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان
قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراة على الثناء عليك
فهل للقلب مطمع في معرفتك فنودي اياك وان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر واقتد به
فان اصحاب سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم كالنجوم بايهم اقتديت اهتديت اما سمعته يقول العجز عن درك الادراك
ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا
يرجع السالك ويعتذر عن سؤالاته ومعاتباته وقال اليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري
فاني كنت غريبا جديد العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم الا عن قصور
وجهل والان فقد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد
القهار فما انتم الا مسخرون تحت قدرته وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلما
ذكر في عالم الشهادة استبعد ذلك منه وقيل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف
يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الوجود اذ
صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين
من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك اخر السفر فهو الاخر بالمشاهدة والاول في الوجود
وهو الباطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس والظاهر بالاضافة
الى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان
توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد فان قلت فقد انتهى
هذا التوحيد الى انه يبتني على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم ذلك او يجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد
فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم
في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة
فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا سواه فيقال انكارك
لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه
في المنام فان قال وانا من جملتهم فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه
وامتنع علاجه فيترك فما كل مريض يقدر على علاجه الاطباء فهذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم
فطريق السالكين معه ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان وجدوها صحيحة في

الاصل وقد تنزل بينهما ماء اسود يقبل الازالة اشتغلوا بازالته وتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا
استوى بصره ارشد الى الطريق ليسلكه كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل
للعلاج فلم يمكنه ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والملكوت
بشهادة التوحيد كلموه بلسان الظاهر وردوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة ايضا
توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فيقال له على حد عقله الاله العالم واحد
والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد
التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللايق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك
نزل القرآن بلسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة فان قلت فهذا التوحيد الاعتقادي
هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف
في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا فلذلك يحتاج
صاحبه الى عالم متقي ورع بصير باصول السنة مرشد الى الصراط المستقيم يحرسه بعلمه اما الى ان يتعلم
هو اصل السنة من علماء الدين وائمة الحق ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابويه
او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شي من ذلك بل لو كشف
الغطاء لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد
[illegible] وضوحا في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين
والمعتقدين الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما ان كانوا مطلعين
على منتهى تاثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم فراوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم
حقيقة الامر فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من
البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا فان البيان والكشف
يمنع التغير واما اصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عجل السامري
وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا
ولا نفعا وكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان كليهما من عالم الشهادة
والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت فهو من عند الله عز وجل فلذلك لا تجد
فيه اختلافا وتناقضا اصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت ان الوسائط والاسباب
مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون

مستخرا فاعلم بانه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع
الغلط ولكن علمت انه يفعل اذا شاء يشاء شيا ام لم يشاء فليست المشية اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت
الي مشية اخرى وتسلسل الي غير نهاية واذا لم تكن المشية اليه ومهما وجدت المشية التي تصرف
القدرة الي مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الي المخالفة فالحركة لازمة ضرورة
بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات
ترتب بعضها علي البعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة الي المقدور بعدها
ولا وجود الحركة بعد بعث المشية للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض
الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبرا مختارا فاقول لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في عين
الاختيار مجبور فهو اذا مجبور على الاختيار وكيف يفهم هذا من لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار شرحا
وجيزا يليق بما ذكر متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به الا علم المعاملة ولكنا نقول لفظ الفعل
من الانسان يطلق علي ثلاثة اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالحنجرة والرية ويخرق
الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق للماء والتنفس والكتبة وهذه الثلثة في حقيقة الاضطرار
والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في امور فاعرب لك عنها بثلث عبارات فنسمي خرقه للماء عند
وقوعه علي وجهه فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا اراديا ونسمي كتبته فعلا اختياريا والجبر ظاهر
في الفعل الطبيعي لانه مهما وقف علي وجه الماء او تخطى من السطح الهواء انخرق لا محالة فيكون الخرق
بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الي ارادة التنفس كنسبة انخراق الماء
الي ثقل البدن فمهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه فكذلك الارادة ليست
اليه ولذلك لو قصدت عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع
ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة
للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة
فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا فاما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس
كالكتبة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء
فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تتبع العلم
الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الي ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك
من غير تردد وان يقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق

فلاجرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف
من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التميز والعقل فيه فلا يدري انه موافق
ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان
احدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر وانبعث الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان
فاذا انبعث لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير اي هو انبعاث الى
ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ننتظر في انبعاثها الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور
خيرية في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية في حقه الا ان الخير بل على البديهة
وهذا افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في
ادراكه توقف وعن هذا ميل العقل يحتاج اليه للتميز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث
الارادة الا بحكم الحس والتخيل او بحكم جزم من العقل وكذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه
لم يمكنه لا لعدم القدرة في يده ولعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المحصلة المقدرة
وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل والحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه ليس موافقا له فلا
يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مولمة لا تطاق فان العقل ههنا يتوقف
في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل
نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا فكان حكمه جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة
والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فانه يرمي نفسه من السطح مثلا وان كان
مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه ان لا يرمي نفسه ولو كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم
العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعيته
البته لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة
والكل يصدر منه بالضرورة من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما ان يكون منه فكلا
ولما فاذا معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى كونه مختارا انه محل الارادة تحدث
فيه جبرا بعد حكم العدل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار
في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر
على الاختيار فطلب اهل الحق وفعل الله تعالى اختيارا بشرط ان لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد
فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن ان يستعمل في حق الله تعالى الا على نوع

من الاستعارة والمجوز وذكر ذلك لايليق بهذا العلم ويطول القول هذا عبارة ثالثة لما ان كان قناتنا لنا وتيمنا

فيه بكتاب الله تعالى فنسمع كسبا وليس منا نقضا الجبر والاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه فان قلت فهل

تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان قلت

ذلك فقد حكمت بحدوث شئ لا من قدرة الله وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان

القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل حوالة جميع ذلك على القدرة الازلية

وهو الاصل الذي لم يقف عليه كافة الخلق الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه

مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث

ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حيوة ولا حيوة الا بعد محل الحيوة

وكما لا يجوز ان يقال الحيوة حصلت من الجسم الذي هو شرط الحيوة فكذلك في سائر درجات الترتب ولكن بعض

الشروط مما ظهر للعامة وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر

الا بالحق واللزوم وكذلك جميع افعال الله ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا ايضا هي فعل الجاهلين تعالى

الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما

الا بالحق وكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لانه لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى

الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر الا انتظارا لشرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا

فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحيوة ولا يتأخر عن الحيوة الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل

ذلك على منهاج الوجوب وترتيب الحق ليس في شئ من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير

ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة

وذلك بان نقدر انسانا محدثا قد انغمس في ماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الذي

يرفع الحدث وهو ملاق له فقدرنا القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء

ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف

في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد

برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل

منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليد عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرافع للحدث

عن اليد وهذا جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل

ذلك خطاء بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه والماء لم

يتغير ولم يحدث فيها شي واليد لم تتغير ولكن حدوث وجود الشرط فظهر اثر العلة فهكذا ينبغي ان يفهم صدور
المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب لعالم آخر من عوالم
المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه علي طريق التوحيد في الفعل وان الفاعل بالحقيقة واحد
فهو المخوف والمرجو وعليه الاعتماد والتوكل ولم نقدر علي ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث
من مقامات التوحيد واستيفا ذلك في عمر نوح محال كاستيفا ما البحر باخذ قطرات منه وكل ذلك ينطوي
تحت قولك لا اله الا الله وما اخف مونتها علي اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظها على القلب وما اعز حقيقتها
ولبها عند العلما الراسخين فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد
ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فاذا كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا واذا كان
الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل
معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال
قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالي فاعل بمعنى فمعنى كون الله
تعالي فاعلا انه المخترع الموجد ومعني كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد خلق الله عز وجل
فيه الارادة بعد ان خلق الله فيه العلم فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط
وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة والارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة فان محل القدرة
يسمى فاعلا كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن علي
وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدور بين القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه
نسب الله تعالي الافعال في القرآن مرة الي الملايكة ومرة الي العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الي نفسه فقال تعالى
في الموت قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال تعالي الله يتوفى الانفس حين موتها وقال الله تعالى افرايتم
ما تحرثون اضاف ذلك الينا ثم قال تعالى انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا
وقضبا وقال تعالي فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ
جبريل وكما قال تعالي فاذا قراناه فاتبع قرآنه قيل في التفسير معناه اذا قرا عليك جبريل وقال الله تعالى
قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الي نفسه والتعذيب هو عين القتل بل
صرح وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالي وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات
ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا فما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا
اذ هما معنيان مختلفان وقال تعالى الذي علم بالقلم ثم قال تعالي الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال تعالى

ثم ان علينا بيانه وقال تع افرايتم ما تمنون انتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف
ملك الارحام انه يدخل الرحم وياخذ النطفه بيده ثم يصورها جسدا ويقول يا رب اذكر ام انثى اسوى ام معوج فيقول
الله عز وجل ما يشاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر يصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال
بعض السلف ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل
نفس من انفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفاته فهو حق يشاهده
ارباب القلوب ببصايرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم بدون النقل تخمين
مجرد وكذلك ذكر الله تع في القرآن الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وليس ذلك متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفه
فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي
بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهذا معنى قوله تع اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف الله تع نفسه
بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحيوة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت والحيوة تناظرا فقال ملك الموت
انا اميت الاحيا وقال ملك الحيوة انا احيي الاموات فاوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع
وانا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي فاذا الفعل يستعمل على وجوه مختلفه فلا تتناقض هذه المعاني
اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة
ومعلوم ان التمرة لا تاتي على الوجه الذي ياتي الانسان اليها وكذلك لما قال ذلك التايب اتوب الى الله ولا
اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله تع فهو المحقق الذي عرف الحق
لاهله والحقيقة ايضا ومن اضافه الى غيره فهو المتجوز المستعير في كلامه وللمتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم
الحقيقة وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا لحركته وظن انه محقق
وتوهم ان نسبته الى الله تع على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى
الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع
فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان
بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اصدق بيت قالته العرب قول لبيد
الا كل شيء ما خلا الله باطل اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما يقوم بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته بغيره
لا بنفسه فاذا لا حق بالحقيقة الا القيوم الحي الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قايم بذاته وكل ما
سواه قايم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل رحمة الله عليه يا مسكين كان ولم تكن ويكون

ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا ما انا كنت الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان فان قلت فاذا الامر كما ذكرت
فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضى وكيف غضب على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه
في كتاب الشكر فلا نطول باعادته فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل
ولا يتم هذا الا بالايمان بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة
وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سيأتي الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة
القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين
فيه يطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا يسترب فيه وهو ان يصدق تصديقا
يقينا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم واعطاهم من
العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وعقلا ثم كشف لهم
عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير
والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع
التعاون والتظاهر ان يزاد فيما دبر الله تعالى الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ينقص منها جناح بعوضة
ولا ان يرفع فيها ذرة او يخفض ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة
او كمال او غنى او نفع عمن انعم عليه به بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والارض اذا رجعوا فيها البصر وطولوا فيها
النظر لم يروا فيها تفاوتا ولا فطورا وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق واجل وسرور وفرح وعجز وقدرة وايمان
وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق كما ينبغي
وعلى ما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي وليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة
ولم يتفضل لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر
وضر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة
الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المريض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة
وكما ان فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم على ذبحهم ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين
العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النيران فداء لاهل الايمان باهل الكفران
عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص
يظهر بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تأكلت ابقاء على
الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة

فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوايف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة والله اعلم

الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله

وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد حكم التوكل وبيان التوكل والكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره

الاول بيان حال التوكل قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وان العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخايضون في بيان حال التوكل واختلف عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فايدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمانت اليه نفسه ووثق ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى الشفقة ومنتهى القدرة ومنتهى الفصاحة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شي اصلا واما القدرة والقوة فليستجري بها على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرا القلب عليه واشار اليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس واما منتهى الشفقة فليكون باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهمه امره ولا يبالي ظفر بخصمه او لم يظفر هلك حقه او لم يهلك فان شك في واحد من هذه الاربعة او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما

يحذره من مقصود مكيدة وسطوة خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة
اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت
احوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان
الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية ويصير خصلة
واحدة من الخصال الاربع قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور ان يحصل القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر
الاخبار بانه افصح الناس لسانا واقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق
فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله عز وجل فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد
جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك كمال العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية
والرحمة بجملة العباد والآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك
ورحمته لك عناية ورحمة اتكل قلبك لا محالة عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك
فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة
عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال
الاربع واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب
قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة
ربما نفر طبعه عن ذلك وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه
عنه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الان ولا يحييه وان كان
تعالى قادرا عليه كما انها مطردة بان القلم الذي في يده لا يقلبه حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا
عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش او الميت معه في بيت ولا ينفر من سائر
الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى
يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وطمانينته فالسكون
في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال الله تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت اليقين في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به
ولا تطمئن باليقين في ابتداء امرها الا ان تبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية
اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب الى يهوديته وكذا النصراني
ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن كما قال تعالى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم

من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجرأة غرايز ولا ينفع اليقين معهما فهي احد
الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع احد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب
حصلت الثقة بالله عز وجل وقد قيل مكتوب في التورية ملعون من ثقته انسان مثله وقال صلى الله عليه وسلم
من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة
والضعف ثلث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفايته وعنايته
كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها
ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول
سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة
ليست خالية عن نوع ادراك بالتميز الذي له ويظن انه طبع من حيث الصبي لو طولبت بتفصيل هذه الخصال
لم يقدر على تلفيق لفظة ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء ذلك الادراك فمن كان ثاله الى
الله ونظره اليه اعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق
بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته
بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فمتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا
عن توكله اي له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى
هذه الدرجة اشار سهل رحمه الله حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك الاماني قيل فاوسطه قال
ترك الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثالثة وسئل [illegible]
الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله عز وجل في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل
لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه
مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وساير الصفات وان كله يحدث لا باختياره فيكون بين الانتظار
لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله مثال
صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه ان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله فان لم يطلب منها اللبن فالام
تبتدي وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتدا
افضل مما يسال فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء والسؤال وبغير الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك
الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها
فاعلم ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزها والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد

الثالث والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب على
ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبعي وانقباضه عارض كما ان انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع
وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى ينمحي عن ظاهر
البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق يتراءى حمرة الدم
فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة
وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين
والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول فان قلت فهل يبقى
مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما
دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع
الى الله تعالى بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير
والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير
الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله به او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون
صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة
بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار
الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له
في قوله لما حضر بقوله واما الذي يعلم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم
الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووفيا بمقتضاها
وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير
في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصا في توكله فكيف يكون فعله نقصا فيه نعم بعد
ان حضر ووفا باشارته واحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي
الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته اذ لم يبق
له حول وقوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته
وقد انتهى نهايته فلم يبق الا الطمانينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تاملت
هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وعلمت وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير
وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسياتي تفصيله في الاعمال

فاذا افزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لاينا قض التوكل لانه يعلم انه لولا الوكيل لكان
حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلاجدوى فاذا لم يصر مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث
ان الوكيل جعله مفيدا بمحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذا لاحول ولاقوة له الا بالوكيل
الا ان هذه الكلمة لايكمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله وقوته بل هو جاعلهما
مفيدا في انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فضله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى
اذ هو خالق الحول والقوة لما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما يخلقه
من بعدهما من الفوايد والمقاصد فاذا لاحول ولاقوة الا بالله حقا صدقا فمن شاهد هذا كذلك
كان له الثواب الذي وردت به الاخبار فيمن يقول لاحول ولاقوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال
كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم
لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه
الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احديهما الى الاخرى اذ في هذه الكلمة اضافة
شيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة كل اليه فانظر الى التفاوت
بين الكل وبين الشيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد
قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمة ولساير الكلمات واكثر الخلق قد قيد وا بالقشرين وما طرقوا
الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه مخلصا
وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق هنا المقيد كما اضاف
المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد
به المقيد بالعمل الصالح فالملك لاينال بالحديث والحركة باللسان حديث وعقد القلب ايضا حديث
ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولاينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون
نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله وان كان لاينتهي الى الملك
اما ترى ان الله تعالى لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة
متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار
والحور العين وكل ذلك لذات المنظور والماكول والمشروب والمنكوح ويتصور ذلك للبهايم على الدوام
واين لذات البهايم من لذة الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات
قدر لما وسعت على البهايم ولما رفع عنها درجة الملايكة افترى ان احوال البهايم وهي مسيبة في الرياض

مشحنة بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متمتعة بالنزهات والسفاد اعلي واشرف والذي اجدر
بان تكون عند ذوي الكمال مغبوطة من احوال الملايكة في سرورهم بالقرب من جوار الله تعالي في اعلي
عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة
جبريل اختار درجة الحمار علي درجة جبريل وليس يخفي ان شبه كل شي منجذب اليه وان النفس
التي نزوعها الي صنعة الاساكفة اكثر من نزوعها الي صنعة الكتاب فهي بالاساكفة اشبه في جوهرها
منها بالكتاب فكذلك من نزوع نفسه الي نيل لذات البهايم اكثر من نزوعها الي نيل لذات الملايكة
فهو بالبهايم اشبه منه بالملايكه لا محالة وهولا هم الذين نزل فيهم اوليك كالانعام بل هم اضل وانما
كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملايكة فتركها ذلك للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك
والقادر علي نيل الكمال اجدر بالذم واجدر بالنسبة الي الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال واذا
كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الي المقصود فقد بينا معني قول لا اله الا الله ومعني قول لا حول ولا قوة
الا بالله وان من ليس قايلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال المتوكل فان قلت ليس في قولك لا حول
ولا قوة الا بالله الا نسبة شيين الي الله تعالي فلو قال قايل ان السما والارض خلق الله تعالي فهل
يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب علي قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الكلمتين
ولا تنظر الي عظم السما والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور
بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسما ليستا من جهة الادميين بل هما من خلق الله واما
الحول والقوة فقد اشكل امرهما علي المعتزلة والفلاسفة وطوايف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الراي
والمعقول حتي يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا
لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوي الله عز وجل فمن جاوز هذه العقبة يوفق
الله عز وجل فقد علت رتبته وعظمت درجته فهذا الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد
ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبتان احديهما النظر الي السما والارض والشمس والقمر والنجوم
والمطر وساير الجمادات والثانية النظر الي اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكانه
كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها
فاذا يرجع حال التوكل الي التبري عن الحول والقوة والتوكل علي الواحد الحق وسيتضح ذلك عند
ذكرنا تفصيل اعمال المتوكل ببيان ما قال الشيوخ في احوال المتوكلين ليتبين ان شيا من احواله
لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير الي بعض الاحوال فقد قال ابو موسي الديبلي قلت لابي

يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت فقلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك
ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب لكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون
واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى خبر عن
اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من
اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله سبحانه وتعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل
النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر
وابو يزيد قلما يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات
شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات
الى ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره وقيل انما فعل ذلك شفقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا على نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال لكن
سيأتي ان امثال ذلك واكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق
المتوكل ان يخاف مسلط تسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله وان احترز لم يكن
اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون
المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة على علوم التوحيد
وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح الحال وان كان اللفظ يتضمنه فقيل
له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول
والقوة فقط وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الاف درهم وعليك
دانق لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك ولو كان عليك عشرة الاف درهم دينا من غير ان
تترك لها وفاء لا تيأس من روح الله عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في
المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل ابو عبد الله القرشي عن التوكل
فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون
الحق هو المتولي لذلك والاول عام للمقامات الثلث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة
وهو مثل توكل ابرهيم الخليل صلوات الله عليه اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا
اذ كان له سواله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله عز وجل ان اراد
سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غايب عن نفسه بالله تعالى فلم يرى معه

غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال ابو سعيد الخراز رحمه الله التوكل
اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الي مقام الثاني فسكونه بلا اضطراب
اشارة الي سكون القلب الي الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الي فزعه اليه
وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الي امه وسكون الطفل وقلبه
الي تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض
فالمتوكل يسكن الي وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذه اشارة
الي تفاوت درجات نظره بالاضافة الي المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه
والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللشيوخ
في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه ولا نطول بايرادها فان الكشف انفع من الرواية والنقل
فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث
الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير والسقوط
على الارض كالخرقة الملقاة او كلحم على وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع
والشرع قد اثنى علي المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف
عن الحق فيه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الي مقاصده وسعي
العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ نافع هو موجود
عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل
به كالتداوي من المرض فمقصود جملة حركات العبد لا يعدو هذه الفنون الاربعة وهي جلب
النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شرط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا
بشواهد الشرع

الفن الاول

في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها تجتلب المنافع علي
ثلث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة
ولا تطمئن اليه الدرجة الاولي المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات
بها بتقدير الله عز وجل ومشيته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك
وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط المتوكل ترك السعي ومد
اليد الي الطعام سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك علي
اسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله فيك شبعا

دون اكل الخبز او تخلق في الخبز حركة اليك او تسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله
عز وجل وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت ان يخلق الله عز وجل نباتا من غير بذر او تلد الزوجة
من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل
في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله عز وجل خلق الطعام واليد
والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده
على فضل الله عز وجل لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يديك وربما تجف او تفلج في الحال
وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعول
على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك
وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن له علاج الا بفضل الله تعالى فبذلك فليفرح
وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل الدرجة الثانية الاسباب
التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها
بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا
ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي
سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله عز وجل لا على الزاد كما سبق
ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت
فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين
احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا وما
يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله عز وجل والثاني ان يكون
بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين
لا تخلو في الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ان ينتهي الى حلة او قرية
او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وبهذا كان يتوكل
الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل
والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه
الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير حبل ولا دلو ولا يغلب وجود الحبل والدلو
في البوادي كما يغلب وجود الحشيش وانما يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم

اويومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له
ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة
ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي وكل ما في معنى هذه الاربعة
ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا يتخرق الثوب
او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام موضوعا الى
فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب
الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك
نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسأل
احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته شيء فقال يا رب ان احييتني
فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ارزقنك حتى
تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل
وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك
في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذا
التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال
على الله تعالى دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل
ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن
الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب الخفية لا الى السبب فان قلت
فما قولك في القعود في البلد بغير كسب اهو حرام او مباح او مندوب اليه فاعلم ان ذلك ليس
بحرام لان صاحب السياحة في البوادي اذا لم يكن مهلكا نفسه فهنا كيف كان مهلكا نفسه
حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر
ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد عليه ففعله ذلك
حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بالعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس
فعله حراما الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسوال والكسب وان كان مشغول
القلب بالله غير مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه بل تطلعه
الى فضل الله تعالى واشتغاله بالله تعالى فهذا افضل فهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل

بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء الحكماء وهو ان العبد
لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله عز وجل ان لا يرزقه لما استجاب له
وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس
في كل شي الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال
وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان قلتم
نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون
تجري ارزاقهم على يد العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم
في رزق الله تع لكن بعضهم ياكل بذل كالسوال وبعضهم ياكل بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم ياكل بامتهان
كالصناع وبعضهم ياكل بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة
الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاوها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة
كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية
عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا
مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة او اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا
والاتكال على الاسباب ولا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب
المنافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان النبي صلى الله عليه وسلم
وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار ولا ياخذون من احد شيا
بل وصفهم بانهم يتعاطون هذه الاسباب وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات
مما يكثر ولا يمكن احصاوه وقال سهل رحمه الله التوكل ترك التدبير وقال ان الله تع خلق الخلق ولم
يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي
يحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذا قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج المتعلق
بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع والى مظنون وان المقطوع
لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل
فيها بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنونات التوكل فيها بالحال والعلم والعمل والمتوكلون
في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور

في التوكل بغير زاد ثقة بفضل الله عز وجل في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش
او قوت او تثبيته على الرضى بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده
او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته
او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك
للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله عز وجل في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية
ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك
لا يبطل توكله واذا كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد
اذ يتصور ان يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله بتعريفهم وتحريك دواعيهم المقام الثالث
ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب
وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه
وبضاعته فان ذلك كله ربما اهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع
ذلك وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم
في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه اذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم
ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه
منقطع فحال هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل
اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة
اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه ودخل السوق فكره المسلمون ذلك وقالوا كيف تفعل هذا
وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى
فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين ولما رضوا بذلك راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق
وقته بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق رضي الله عنه في مقام التوكل فمن اولى
بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك السعي والكسب بل باعتبار قطع الالتفات
الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان يراعيها في طريق
الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه
احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا
ويحب لها ولا يتم التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام

وراء الزهد قال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة
وما فارقت السوق كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط
ادخل بها الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحي
ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من
التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف
ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد
اشتهار القوم بذلك فقد صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا
بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان
يتفرغ بترك الكسب لذكر وفكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه
ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا
بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في
البيت ويستشرف الى الناس فالكسب له اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب
وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون يأخذون ما يستشرف اليه نفوسهم ما كان احمد بن
حنبل رضي الله عنه قد امر ابا بكر المروذي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره
عليه فرده فلما ولى قال له احمد الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فقبله وسئل احمد عن
ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وايس فاخذ وكان الخواص
رحمه الله اذا نظر الى عبد في العطاء او خاف اعتياد النفس لم يقبل منه شيئا وقال الخواص رحمة الله
عليه وقد سئل عن اعجب ما راه في اسفاره رايت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة
ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصانا في توكلي فاذا المكتسب اذا راعى آداب الكسب وشروط نيته
كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا
فان قلت ما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او
خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا ولم يبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان
حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب بفقده ومن
اضطرب لفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فترك ذلك لان العلوي كاتبه
وقال بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك فالرزق على

من فوقع ذلک فی قلب فترکها واخرج آلة الغنان لنبی بیت وقیل ترکها لما توجهت باسمه وقصد لا حلوها
وقیل فعل ذلک لما ماتت عیاله کما کان لسفیان رحمه الله خمسون دینارا یتجر فیها فلما مات عیاله
فرقها فان قلت فکیف یتصور ان یکون له بضاعة ولا یسکن الیها وهو یعلم ان الکسب بغیر بضاعة
فاقول بان یعلم ان الذین رزقهم الله بغیر بضاعة فیهم کثرة وان الذین کثرت بضایعهم سرقت وهلکت
فیهم کثرة وان یوطن نفسه علی ان الله تعالی لا یفعل به الا ما فیه صلاحه فان اهلک بضاعته فهو
خیر له فلعله لو ترکها کانت سببا لفساد دینه وقد لطف الله تعالی به وغایته ان یموت جوعا وینبغی
ان یعتقد ان الموت جوعا خیر له فی الآخرة مهما قضی الله عز وجل علیه ذلک من غیر تقصیر من جهته
فاذا اعتقد جمیع ذلک استوی عنده وجود البضاعة وعدمها ففی الخبران العبد لیهتم من اللیل
بامر من امور التجارة مما لو فعله لکان فیه هلاکه فینظر الله عز وجل الیه من فوق عرشه فیصرفه عنه
فیصبح کئیبا حزینا یتطیر بجار وابن عمه من سبقنی من دهانی وما هو الا رحمة رحمه الله تعالی بها ولذلک
قال عمر رضی لا ابالی اصبحت غنیا او فقیرا فانی لا ادری ایهما خیر لی ومن لم یتکامل یقینه بهذه
الامور لم یتصور منه التوکل وکذلک قال ابو سلیمان الدارانی لاحمد بن احمد الجواری لی من کل مقام
نصیب الا من هذا التوکل المبارک فانی ما شممت منه رایحة هذا کلامه مع علو قدره ولم ینکر کونه
من المقامات الممکنة ولکنه قال ما ادرکته ولعله اراد ادراک اقصاه وما لم یکمل الایمان بان لا
فاعل الا الله تعالی ولا رازق سواه وان کل ما یقدر علی العبد من فقر وغنی وموت وحیوة فهو خیر له
مما یتمناه العبد لم یکمل حال التوکل فبناء التوکل علی قوة الایمان بهذه الامور کما سبق وکذا
سایر مقامات الدین من الاعمال والاحوال تبتنی علی اصولها من الایمان بالجملة التوکل مقام
مفهوم ولکن یستدعی قوة القلب وقوة الیقین وکذلک قال سهل رحمه الله من طعن علی التکسب
فقد طعن علی السنة ومن طعن علی ترک التکسب فقد طعن علی التوحید فان قلت فهل من دواء
ینتفع به فی صرف القلب عن الرکون الی الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله عز وجل فی تیسیر
الاسباب الخفیة فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقین الشیاطین وحسن الظن تلقین
من الله عز وجل قال الله تعالی الشیطان یعدکم الفقر ویامرکم بالفحشاء والله یعدکم مغفرة منه وفضلا
فالانسان بطبعه مشعوف بسماع تخویف الشیطان کذلک قال الشفیق بسوء الظن مولع واذا
انضم الیه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتوکلین علی الاسباب الظاهرة والباعثین علیها
غالب سوء الظن وبطل التوکل بالکلیة بل رویة الرزق من الاسباب الخفیة ایضا یبطل التوکل فقد

يحكى عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه
حتى اعاد ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان
صادقا في ضمانه فكونك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين الله عز وجل
وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اي فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى
للرزق وقال امام المسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال اصبر حتى اعيد الصلوة التي صليتها
خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من لطف الله به بواسطة الاسباب الخفية
ان يسمع الحكايات التي فيها عجايب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجايب
قهر الله عز وجل في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي
وكان قد خدم ابرهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما
فلم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابرهيم وقال يا حذيفة ارى
بك الجوع فقلت ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجيئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم
انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جايع انا ضايع
انا عاري هي ستة وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري مدحي لغيرك لهب نار
خضتها فاجر عبدك من دخول النار ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله
عز وجل وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته
الرقعة فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني
فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا رجل نصراني
فجيئت الى ابرهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني
فاكب على راس ابرهيم فقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام فوجدت
ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت شلجمة مطروحة
فاخذتها فوجدت في نفسي منها وحشة وكان قايلا يقول جعت عشرة ايام وآخره يكون حظك
شلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل قد اقبل فجاء حتى جلس بين يدي
ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت
السفينة على الغرق فنذرت ان خلصني الله عز وجل ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري
من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها فاذا هي سميد مصري ولوز مقشر وسكر لعاب فقبضت

منه بقصة من هذا وبعضه من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني وقد قبلتها ثم قلت في نفسي
رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي وقال ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل
قلبي بسببه فرايت في النوم كان قايلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ
وعلينا العطا فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم ويحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق
مكة اجي من مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل علي ظهرك الزاد وتتوهم انه
لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتي علي ثلث لم اكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى
يجي صاحبه فربما اعطاني شيا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة قالت لي انت تاجر تقول عسى يجي صاحبه
فاخذ منه شيا ثم رمت الي شيا وقالت انفقه فاكتفيت بها الي قريب من مصر ويحكي ان بنانا رحمه الله
احتاج الي جارية تخدمه فانبسط الي اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا ها هو ذا يجي النفر فنشتري ما يوافق
فلما ورد النفر اجتمع رايهم علي واحدة فقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست
للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الي بنان وذكرت له القصة
وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلت مت فوكل الله به ملكا وقال ان اكله
فارزقه وان لم ياكله فلا تطعمه فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكل وبقي القرص بعده وقال ابو سعيد
الخراز دخلت البادية بلا زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت
في نفسي اني سكنت واتكلت علي غيره فآليت ان لا ادخل القرية الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل
حفرة وواريت جسدي فيها الي صدري فسمعوا صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل المرحلة ان الله تعالى
وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني الي القرية وروي ان رجلا
لازم باب عمر رضي الله عنه فقيل له يا هذا هاجرت الي عمر او الي الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك
عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة وقال له عمر رضي
اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال له عمر رحمك
الله ما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السما رزقكم وما توعدون فقال رزقي في السما وانا اطلبه
من الارض فبكى عمر وقال صدقت وكان عمر رضي الله عنه ينتابه ويجلس اليه وقال ابو حمزة الخراساني حججت
سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله
لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس هذا
البير لئلا يقع فيها احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الي من هو

اقرب منها وسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشي جاء كشف عن راس البير وادلي رجليه وكانه
يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف
بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول ــــــ
نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى   واغنيتني بالفهم عنك من الكشف   تلطفت في امري فابديت شاهدي
الي غايبي واللطف يدرك باللطف   ترايت لي بالغيب حتي فكانما   تبشرني بالغيب انك في الكف
اراك وبي من هيبتي لك وحشة   فتونسني باللطف منك وبالعطف   وتحيي محبا انت في الحب حتفه
وذا عجب كون الحيوة مع الحتف   وامثال هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان به وانضم اليه القدرة
علي الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت
خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا
اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله
الا بامرين احدهما قدرة علي الجوع اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر ابواب من الايمان
ذكرناها ومن جملتها ان تطيب نفسا بالموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة في
الآخرة فيري انه سيق اليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال
الصبر علي الجوع ولا يمكن ان تقرر عنده الايمان بالتوحيد وبان الموت علي الجوع رزق مغبوط عليه
في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك ساير ابواب الايمان فاذا لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب
وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك
العيال توكلا في حقهم او القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الي
هلاكهم ويكون هو مواخذا به بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال علي
الصبر علي الجوع مدة وعلي الاعتداد بالموت علي الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في نفسه
ايضا وعياله عنده لا يجوز له ان يضيعهم الا ان تساعده علي الصبر مع الجوع مدة فان كان لا يطيقه
ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الي
صوفي قد مد يده الي قشرة بطيخ لياكله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي
لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر عن الطعام اكثر من ثلثة ايام وقال ابو علي الروذباري
اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جايع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله
فيما يضر بدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شي وهو ان له تكليف نفسه الصبر علي الجوع وليس له

ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على
الجوع مدة والرضى بالموت ان تاخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار او ملازمة البوادي التي
لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقا ولكن مع نوع من الاذى لا يمكن الاستمرار
عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب
الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة
حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الاخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم باساءة الظن
وطول الامل ومن نظر في ملكوت الارض انكشف له تحقيقا ان الله عز وجل دبر الملك والملكوت تدبيرا
لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين
في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذاء
الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل
به شاءت ام ابت اضطرارا من الله بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ جعل
رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولما كان لرخاوة مزاجه لا يحتمل الغذاء الكثيف ادر له
اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام
فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل
يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الاخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض فانه ما نقصت اسباب
معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر فزادت قدرته نعم كان
المشفق عليه شخصا وهو الام او الاب وكانت شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه ويسقيه في اليوم
مرة ومرتين وكان اطعامه بتسليط الله عز وجل الشفقة والحب على قلبه فكذلك قد سلط الله
عز وجل الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد
منهم اذا احس بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعث له داعيته الى ازالة حاجته فقد كان المشفق واحدا
والآن المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم راوه في كفالة الام وهو مشفق
خاص فلم يروه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله تعالى داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة
حتى ياخذوه ويكفلوه فما رؤي الى الآن في سن الخصب يتيم قد مات جوعا انه عاجز عن الاضطراب
وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان
يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبي وقد كان المشفق واحدا والمشفق الان الف

نعم كانت شفقة الام اقوى واخص ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من
مجموعها ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسّر الله له حالا هو احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقته
الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على الضرورة ولقد احسن الشاعر شعر
جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون جنون منك ان تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين
فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجز الصباء واما هذا فبالغ قادر على الكسب لا يلتفتون
اليه ويقولون هذا مثلنا فليجتهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالا لا يتقصد فقوا فعليه
الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله فما
للبطال وللتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما مسجدا او بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس
لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحمل
اليه فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب فلا يهرب الى جبل من بين الناس وما رؤي الى الآن
عالم او عابد استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم جماعة
من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله عز وجل حبه في قلوب
الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله عز وجل الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل
الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى
الاسباب نعم ما دبر تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلواء والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول
النفيسة على الدوام لا محالة وقد يتفق ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبر تدبيرا يصل الى كل
مشتغل بعبادة الله عز وجل في كل اسبوع قرص شعير او حشيش نبات وله لا محالة والغالب انه
يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم
على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة
وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل
نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب فان الاضطراب ضعيف عند من انفتحت
بصيرته فلذلك لا يطمئن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه
وان سكن الا نادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشف هذه الامور وكان
معه قوة في القلب وشجاعة اثمر ذلك ما قاله الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة في
عيالي وان حبة بدينار وقال وهب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت

برزقي لظننت اني مشرك فاذا افهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه يمكن
الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين
افلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذا عليك بالقناعة بالنزر
اليسير والرضى بالموت فانه ياتيك لا محالة وان فررت منه وعند ذلك على الله عز وجل ان يبعث اليك
رزقك على يد من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذائذ
الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي يدوم به حيوته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن
واطمان الى ضمانه فان الذي احاط بتدبير الله عز وجل من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر
للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى اليها وذلك لان ظهوره على الارض
وسببه في السماء قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واسباب السماء لا مطلع عليها
ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال
الله الرزق فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا ندخل البيت فنتوكل وننتظر ما يكون فقال
التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في
البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسال الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من
فعال المتوكلين فطالبتني ان اسال الله عز وجل صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول
ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا ويسألنا القوى جهدا وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا
فقد فهمت ان من انكرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوى ايمانه بتدبير الله عز وجل
كان مطمئن اليقين ابدا واثقا بالله به فان اسوء حالة ان يموت ولابد ان ياتيه الموت كما ياتي
من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب والذي
ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد
عجيبا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم يكن في ظنك وحسبانك ولا تكن في توكلك
منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا يكون منتظرا للقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه
اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من
يخوض البوادي بلا زاد ويقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا
قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ وبثوب خشن

يليق باهل الدين فهنا ياتيه من حيث يحتسب ولايحتسب علي الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه التوكل همته بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر لجلب الرزق اليه اقوي من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وبالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كانوا معه الا اذا اراد ان لاياخذ من ايدي الناس وياكل من كسبه فذلك له وجه لايق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الي الله تع بما يعطيه اولي لانه تفرغ لله تع واعانة للمعطي علي سبيل الثواب ومن نظر الي مجاري سنة الله عز وجل علم ان الرزق ليس علي قدر الاسباب ولذلك سال بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل علي نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق اظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال

اعلم ان مثال الخلق مع الله تعالي مثل طايفة من السوال وقفوا في ميدان علي باب قصر الملك وهم محتاجون الي الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة من الخبز وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لايغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتي نادي فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد منكم في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم ماموررون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الي ان اتقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكن اخفيه ومن لم يوذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية الي الميعاد المذكور كعقوبة الاخر ومن ثبت في مكانه ولكن اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطاه غلماني فلم يوصلوا اليه شيئا فبات الليلة جايعا غير متسخط علي الغلمان ولا قايلا ليته اوصل الي رغيفا فاني غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السوال الي اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الي العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الي غد فرج نحن الان جياع فبادروا الي الغلمان واذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولا ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا عن العقوبة ولم يفوزوا بالخلعة

وقسم قالوا نحن نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يغلطوا ولكنا لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به
فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مراى اعين الغلمان قالوا
ان تبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على
ترك السخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تتبعهم الغلمان في
كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى
ثلثة في زاوية ولم يقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا
في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلست اطيق الصبر وسكت
الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحيوة الدنيا
وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيمة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل
اذا مات جايعا راضيا من غير تاخير ذلك الى ميعاد القيمة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون
والمتعلق بالغلمان هو المتعدي في الاسباب والغلمان المسخرون هي الاسباب والجالس في
ظاهر الميدان لمراى الغلمان هو المقيمون في الامصار والرباطات والمساجد على هيئات
السكون والمختفون في الزوايا هم السايحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم
والرزق ياتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد منهم جايعا راضيا فله الشهادة والقرب من
الله عز وجل وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب
تسعون واقام تسعة من العشرة الباقية في الامصار متوضين الاسباب بمجرد حضورهم واشتهارهم
وساح في البوادي ثلثه فسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار
السالفة واما الآن فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة الآف الفن الثاني في
التعرض لاسباب الادخار فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله
في ادخاره ثلثه احوال الاولى ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فياكل ان كان جايعا ويلبس
ان كان عاريا ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال او لا ياخذه ولا
يدخر الا القدر الذي يدرك من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية وهذا هو الوفا
بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له على حدود
التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات
الا ثلثة الفارة والنملة وابن آدم الحالة الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونها فهذا هل يوجب

حرمانه عن المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل انه يخرج عن التوكل
وذهب الخواص الي انه لا يخرج لاربعين يوما ويخرج بما زيد علي الاربعين وقال ابو طالب المكي لا
يخرج عن حد التوكل بالزيادة علي الاربعين وهذا الاختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار نعم يجوز
ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب
موعود علي رتبة فانه يتوزع علي تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات
السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا علي درجات وكذا السابقين
واعلي درجات اصحاب اليمين يلاصق اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير في مثل هذا
بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار ولا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقاء بنفسه لحظة
ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فيتفاوتون في طول الامل وقصره واقل درجات
الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان وبينهما درجات
لا حصر لها فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الي المقصود ممن يامل سنة وتعيينه باربعين لاجل
ميعاد موسي عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه
ولكن استحقاق موسي صلوات الله عليه لنيل موعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت
به وبامثاله سنة الله في تدريج الامور كما قال خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا لان استحقاق
تلك الطينة للتخمير كان موقوفا علي تخمير مدة مبلغها ما ذكر فاذا ما وراء السنة لا يدخره الا بحكم
ضعف القلب والركون الي ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق باحاطة
التدبير من الوكيل الحاذق بخبايا الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات
يتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله
شهرين لم يكن درجته درجة من امل شهرا ولا درجة من امل ثلثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة
ولا يمنع من الادخار الامل الا قصره والافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكل ما يكون ادخاره
اقل كان فضله اكبر وقد روي في الفقير الذي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا واسامة رضي الله عنهما
غسله وكفنه ببرديه فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر
ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما
قواما كثير الذكر لله عز وجل غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف
ادخر حلة الشتاء لشتاء آخر ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز

والسفرة مايحتاج اليه علي الدوام في معني ذلك فادخاره لاينقص الدرجة واما ثوب الشتاء
فلايحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لاينزعج قلبه بترك الادخار ولاتستشرف نفسه
الي ايدي الخلق بل لايلتفت قلبه الا الي الوكيل فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا
يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولي لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد
لذكر الله تعالي ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور مايشغل
عن الله عز وجل والا فالدنيا في عينها غير محذوره لاوجودها ولاعدمها ولذلك بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الي اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون واهل الصناعات فلم
يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعى
الكل الي الله تع وارشدهم الي ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الي الله تع وعمدة
الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوي ترك الادخار
وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل لايخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله ونهى ام ايمن
وغيرها ان تدخر شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق
يا بلال ولاتخش من ذي العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلاتمنع واذا اعطيت فلاتخبأ فالاقتداء
بسيد المتوكلين صلوات الله عليه وقد كان قصر امله بحيث اذا بال يتيمم مع قرب الماء ويقول
مايدريني لعلي لاابلغه وكان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لايثق
بما ادخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة اليه
وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليبين ذلك للضعفاء من امته ثم اخبر
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزايمه تطييبا
لقلوب الضعفاء حتى لاينتهي بهم الضعف الي الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير
عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على
اختلاف اصنافهم ودرجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار يضر بعض الناس وقد لا
يضر ويدل عليه ماروي ابو امامة الباهلي رضي الله عنه ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد
له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه
وسلم كيتان وكان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا فلايقول ذلك في حقه وهذا
يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال الله تع فتكوى

بها جاههم وحشو بهم وذلك اذا كان حالة اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو
نوع تلبيس والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما
ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان لا يكون من تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل
فهو نقصان في الآخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا نقص بقدره في الآخرة فاما بيان
ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورة بطلان التوكل فيشهد له ما روى
عن بشر قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل كهل اسمر خفيف
العارضين فقام اليه بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع اليّ من دراهم فقال اشتر لنا
من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام
فوضعته فاكل منه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام فوضعته فاكل
منه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل فجمعه
في ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت اخذ
بقية الطعام من غير اذن فقال ذلك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد
ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر
المتعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك
الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او
تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير
فائدة نعم ينقسم هذه الاسباب الى مقطوع به والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها
من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية قد
يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع
بارد لم يلبسوا الجبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم
الاستظهار باكل الثوم مثلا عند الخروج الى سفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن
ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة
ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا نال الضرر من انسان فانه اذا امكنه
الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر

على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى
ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى نعم اجر العاملين
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس اما الصبر على اذى السباع والحيات والعقارب
وترك دفعها فليس من التوكل في شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه بل لاعانته
على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتبها في الكسب وجلب النافع فلا نطول بالاعادة وكذلك في
الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل
البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا وكذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي
لما ان اهمل البعير وقال توكلت على الله فقال صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقال تعالى في كيفية
صلوة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
وقال تعالى لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو نوع تسبب
واختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار عن اعين الاعداء دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلوة
ليس دافعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن اخذ السلاح مظنون وقد بينا
ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة
ان الاسد وضع يده على كتفي واحد منهم ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروا
ولا ينبغي ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح الاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك
مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليه فان
قلت وهل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامة
ولكن من العلامات السابقة على ذلك المقام ان يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب
فلا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل الا
باشارتك وكان مسخرا لك فربما يرتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب
دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يسخر من كلب دارك فاذا
لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر فان قلت فاذا اخذ المتوكل سلاحه
حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من السرقة فباي اعتبار
يكون متوكلا اقول متوكلا بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع
بكفايته في اغلاق البيت بل بدفع الله اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت

او بعلت وكم من اخذ سلاحه بقتل فلا يتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا
المثل في الموكل بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على
كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تعالى به في نفسه وبيته ويقول
اللهم ان سلطت على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري
ان ما اعطيتني هبة فلا استرجعها او عارية او وديعة فتستردها ولا ادري انها رزقي او سبقت
مشيتك في الازل بانه رزق غيري وكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك
وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب
فاذا كان هذا حاله وذاك الذي ذكرناه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير واخذ السلاح
واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله
عز وجل وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه
ما اخذ الله تعالى ذلك الا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان تألم
قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في معنى التوكل لان التوكل مقام بعد
الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا ياسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما ياتي بل قد يكون
على العكس من ذلك فكيف يصح له التوكل نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكوا
ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تاذى بقلبه واظهر الشكوى
بلسانه واستقصى الطلب فقد كانت السرقة مزيدا له في دينه من حيث انها اظهرت له قصوره
عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه
في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء ومدعية للخير فان قلت فكيف
يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة ياكل فيها وكوز يشرب فيه
واناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة
من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال فيمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه ولا يكون ادخاره على هذه
النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده
وانما ذلك في الماكول وفي كل مال زايد على قدر الضرورة لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز الى
فقراء المتوكلين وفي زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والامتعة في كل يوم ولا في
كل اسبوع والخروج عن سنة الله تعالى ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص رحمه الله ياخذ في

السفر الجبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله جارية بالفرق بين الامرين فان قلت
فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه فان كان لا يشتهيه
ولا يريد فلما امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لا يتاذى لا يحزن
وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان
الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله تع ولما اعطاه فاستدل على ذلك
بتيسير الله وحسن الظن بالله عز وجل مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن له ذلك مقطوعا
به اذ يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلى بفقده ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه
في التعب والنصب اكثر فلما اخذه الله تع منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق
بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله تعالى علم ان الخيرة كانت لي في وجودها الى الآن والخيرة
الآن لي في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج
عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها اسباب بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب
عناية به وتلطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه
الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه الي وان
اخر عنه الغذاء بعد ذلك فرح ايضا وقال لولا ان الغذاء يضرني فيسوقني الى الموت لما حال
بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله عز وجل ما يعتقده المريض في الوالد الشفيق الحاذق
بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وافعاله وعرف سنته في اصلاح
عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي
اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فكذلك ينبغي ان لا يبالي المتوكل بسرقة
متاعه او بقائه فانه لا يدري ايهما خير له لا في الدنيا ولا في الآخرة فكم من متاع في الدنيا
سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غنائه فيقول ليتني كنت فقيرا

بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم للمتوكل آداب في متاع بيته اذا خرج
عنه الاول ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ
مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار رحمه الله لا يغلق بابه ولكن يسده
بشريط ويقول لولا الكلاب لما شددته ايضا الثاني ان لا يترك في البيت متاعه يحرص عليه
السراق ويكون هو سبب معصيتهم او يكون امساكه سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الي مالك بن دينار ركوة فقال له خذها فلا حاجة لي اليها قال لم قال
يوسوس العدو الي ان اللص قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه
بوسواس الشيطان بسرقتها ولذلك قال ابو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد
في الدنيا فما عليه من اخذها الثالث ان ما يضطر الي تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند
خروجه الرضي بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه
في حل او في سبيل الله عز وجل وان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولي فيكون
نيتان لو اخذه غني احديهما ان يكون ماله مانعا من المعصية فانه ربما يستغني به فيتواني عن
السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما آخر
فيكون ماله فدا لمال مسلم آخر ومهما نوي حراسة مال غيره بمال نفسه او نوي دفع المعصية
عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك
ظالما او مظلوما ونصرة الظالم ان يمنعه من الظلم وعفوه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه
النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه يحقق
بالزهد نيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبع مائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يوخذ
حصل له الاجر ايضا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها
ان له اجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس اليه
من امر الولد الا الوقاع فاما الخلق والحيوة والرزق والبقا فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه
علي فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السرقة الرابع انه اذا وجد المال قد سرق فينبغي ان لا يحزن
بل يفرح ان امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت في ذلك لما سلبه الله تعالي ثم ان لم يكن قد جعله
في سبيل الله عز وجل فلا يبالغ في طلبه وفي اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله
في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الي الآخرة فان اعيد عليه فالاولي ان لا
يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك
لايزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر رضي الله عنهما سرقت
ناقته فطلبها حتي اعيي ثم قال في سبيل الله فدخل المسجد فصلي ركعتين فجاءه رجل فقال
يا با عبد الرحمن ان ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم استغفر الله وجلس فقيل الا تذهب
فتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله عز وجل وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني

في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرايتها
قال وهو مع ذلك كئيب حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الي يوم القيمة قلت ولم ذاك قال
اني لما رايت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها فلما
هممت بدخولها نادي مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له انما هذه لمن امضي السبيل فقلت
وما امضي السبيل فقيل لي قد كنت تقول للشي انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل
لامضينا لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نايما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد
هميانه فاتهمه به فقال كم كان فذكر فحمله الي البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه انهم كانوا
اخذوا الهميان مزاحا به فجاء هو واصحابه وردوا الذهب فابي عليهم وقال خذوها حلالا لا فما كنت لاعود
في مال اخرجته في سبيل الله فلم يقبله فالحوا عليه فدعا ابناله وجعل يصرها صررا ويبعث بها الي
الفقرا حتي لم يبق منه شي فهكذا كانت اخلاق السلف رضي الله عنهم اجمعين وكذلك من اخذ رغيفا
مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له رده الي البيت بعد اخراجه فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في
الدراهم وساير الصدقات الخامس وهو اقل الدرجات ان لا يدعو علي السارق الذي ظلمه بالاخذ
فان فعل بطل توكله ودل ذلك علي كراهيته وتاسفه علي ما فات وبطل زهده وان بالغ في الله
بطل ايضا اجره فيما اصيب به ففي الخبر من دعا علي من ظلمه فقد انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق
فرس له وكان ثمنه عشرين الفا وكان قايما يصلي فلم يقطع صلوته ولم يتزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه
فقال اما اني قد كنت رايته وهو يحله قيل وما منعك ان تزجره قال كنت فيما احب الي من ذلك يعني
الصلوة قال فجعلوا يدعون علي السارق قال فلا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة وقيل
لبعضهم في شي قد كان سرق منه الا تدعوا علي ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه
قيل ارايت لو رد عليك قال لا آخذه ولا انظر اليه لاني كنت قد احللته له وقيل لاخر ادع الله علي
من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتي ازيده
شرا واكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله عز وجل
ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة
فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتي يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقي للظالم مطالبة بما زاد عليه يقتص له من
المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله ويشكر الله تع اذ جعله مظلوما
ولم يجعله ظالما ويجعل ذلك نقصانا في دنياه لا في دينه فقد شكي بعض الناس الي عالم انه قطع

عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك
فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي ويحزن
فقال اعلى الدنانير تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسال يوم القيمة ولا يكون له حجة وقيل لبعضهم
ادع على من ظلمك فقال انى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء الفن الرابع السعى في ازالة الضرر
كمداواة المريض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا ينقسم الى مقطوع به كالماء المزيل
لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وساير
ابواب الطب اعنى معالجة البرودة وهي الاسباب الظاهرة في الطب والى موهوم كالكى والرقية
اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل
تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتهما
والاعتماد عليها والاتكال اليها غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي
المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس متناقضا للتوكل بخلاف الموهوم
فتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال وفي حق بعض الاشخاص
فهي على درجة بين الدرجتين ويدل على ان المداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وامره به اما قوله صلى الله عليه وسلم فقد قال ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من
جهله الا السام يعني الموت وقال صلى الله عليه وسلم تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل
يرد من قدر الله تع فقال صلى الله عليه وسلم هي من قدر الله تعالى وفي الخبر المشهور ما مررت بملأ
من الملايكة الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها صلى الله عليه وسلم وقال احتجموا
لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت
وانه قاتل باذن الله عز وجل وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم خلاص منه
اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج
الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها وكدفع
ضررها عند وقوعه في البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل ايضا وفي خبر منقطع
من احتجم يوم الثلثا لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره فقد امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوى والحمية وقطع لسعد بن معاذ رضي الله عنه عرقا اى
فصده وكوى اسعد بن زرارة رضي الله عنه وقال لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه وكان رمد العين لا تاكل

من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير وقال لصهيب
وقد رآه ياكل التمر وهو وجع العين تاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالجانب الآخر فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما فعله فقد روي من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل
شهر ويشرب الدواء كل سنة وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه
كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحناء وفي خبر آخر انه كان
صلى الله عليه وسلم اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما روي في
تداويه وامره بذلك خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمى طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
بعض العلماء رحمهم الله في الاسرائيليات ان موسى صلوات الله عليه اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل
فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرئت فقال عليه السلم لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير
دواء فطالت عليه فقالوا ان دواء هذه العلة مجربة معروفة وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا اتداوى
فدامت عليه فاوحى الله تبارك وتعالى اليه وعزتي لا ابراتك حتى تداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني
بما ذكرتم فداووه فبرئ بها فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك
على من اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروي في خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكى علة يجدها
فاوحى الله تعالى اليه كل البيض وشكى نبي آخر الضعف فاوحى الله اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة
قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه
مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد وتفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع
اذ فيه يصور الله تعالى الولد وكانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فبهذا يتبين ان مسبب
الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة لحكم
الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكنجبين دواء الصفراء
والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء
جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن دركه
بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط
آخر في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط
فيتقاعد الدواء عن الاسهال فاما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطا كثيرة وان
كان قد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف

ولا اسباب ابدا ينحصر في هذين الفنين والا فالمسبب يتلوا السبب لا محالة مهما تم شروط السبب وكل
ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع
النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدوا فقد روي عن موسى عليه السلم انه قال يا رب
ممن الدوا والشفا فقال مني قال فما تصنع الاطبا قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون نفوس عبادي
حتى ياتي شفاي او قضاي فاذا معنى التوكل مع التداوي بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال
الدافعة للضرر والجالبة للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي ايضا
من الاسباب الظاهرة النفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب
المسهل وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه
وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذاك عادة بعض الاتراك والاعراب فهو من الاسباب الموهومة
كالرقية الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع الاستغنا عنه فانه ما من وجع
يعالج بالكي الا وله دوا يغني عنه ليس فيه احراق فالاحراق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية
مع الاستغنا عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتها بعيد ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك
نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكي دون الرقية وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروي ان
عمران بن الحصين رضي الله عنه اعتل فاشاروا اليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير
حتى اكتوى وكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا ويسلم على الملايكه فلما اكتويت انقطع ذلك عني
وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن وما انجحن ثم تاب من بعد ذلك واناب الى الله عز وجل
فرد الله عليه ما كان يجد من امر الملايكه وقال المطرف ابن عبد الله الم تر الى الكرامة التي اكرمني الله
بها قد رد علي بعد ان كان اخذ بفقدها فاذا الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل
لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو موهوم فيدل ذلك على شدة ملاحظة الاسباب
وعلى التعمق فيها بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة
التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف
لا ينحصرون ولكن ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا
لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد راني الطبيب وقال اني فعال لما اريد
وقيل لابي الدردا رضي الله عنه في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قالوا

الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر رضي الله عنه وقد رمدت عيناه لو داويتهما
فقال اني عنهما مشغول قيل لو سالت الله عز وجل ان يعافيك فقال اسال الله فيما هو اهم علي منها
وكان قد اصاب الربيع ابن خثيم فالج فقيل له لو تداويت فقال لقد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا
بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم يغن الرقي شيا وكان احمد بن حنبل
رضي الله عنه يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ان يترك التداوي من شرب الدواء
وغيره وكان به علل لا يخبر بها الطبيب ايضا اذا ساله وقيل لسهل رحمة الله عليه متى يصح بالعبد
التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام
الله تعالى عليه فاذا من ترك التداوي ورا. فيهم كثرة ولا ينقطع وجه الجمع بين فعل رسول الله صلعم
وانما هم الاخص الصوارف عن التداوي فنقول لترك التداوي اسباب **الاول** ان يكون
المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويكون معلوما عنده تارة
برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه
التداوي من هذا السبب فانه كان من المكاشفين فانه قال لعايشه رضي الله عنها في امر الميراث
هما اختاك ولم يكن لها الا اخت واحدة ولكن كانت امراته حاملا فولدت انثى فعلم انه كان
قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن انكار
التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يداوي ويامر به **السبب الثاني**
ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه
للتداوي شغلا بحاله ويدل عليه كلام ابي ذر رضي الله عنه اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء
اذ قال اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب
بموت عزيز من اعزته او كالخايف الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت
جايع فيقول انا مشغول عن الم الجوع ولا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا
فيمن ياكل ويقرب من هذا اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت فقال هو الحي القيوم
فقيل انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم فقيل سالناك عن الغذاء فقال الغذاء هو
الذكر فقيل سالناك عن طعمة الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخل
عليه علة فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها
السبب الثالث ان يكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع

جاريا مجري الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه اشار الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمودا وفيهم اطبا
فهلك المداوي والمداوى اي الدوا غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند
المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربه له فلا يغلب علي ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب
المجرب اشد اعتقادا في الادوية فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة
واكثر من ترك التداوي من الزهاد والعباد هذا مستندهم لانه يبقي الدوا عندهم شيا موهوما
لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن
غير الطبيب قد ينظر الي الكل نظرا واحدا فيري التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقية
فتركه توكلا السبب الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي استبقا المرض لينال ثواب
المرض بحسن الصبر علي بلا الله تعالي او ليجرب نفسه في القدرة علي الصبر فقد ورد في ثواب
المرض ما يكثر ذكره فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا اشد الناس بلا ثم
الامثل فالامثل يبتلي العبد علي قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلا وان
كان في ايمانه ضعف خفف عنه البلا وفي الخبر ان الله يجرب عبده في البلا كما يجرب
احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من دون ذلك ومنهم من يخرج اسود
محترقا وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه
وان رضي اصطفاه وقال صلي الله عليه وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون
ولا تسقمون وقال ابن مسعود رضي الله عنه تجد المومن اصح شي قلبا وامرضه جسما وتجد
المنافق اصح شي جسما وامرضه قلبا ولما عظم الثنا علي المرض والبلا احب قوم المرض
واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه وكان فيهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي
الصبر ويرضي بحكم الله تعالي ويعلم ان الحق اغلب علي قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما
يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قاعدا مثلا مع الصبر علي قضا الله عز وجل افضل
من الصلوة قايما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله يقول للملايكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان
يعمله فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الي
رحمتي وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس قيل معناه
ما دخل من الامراض والمصايب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم
وكان سهل رحمه الله يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرايض افضل

من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوي منها وكان يداوي الناس منها وكان
اذا راي العبد الصالح يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من الامراض فيتداوي للقيام في الصلوة
والنهوض الي الطاعات تعجب من ذلك ويقول صلوته من قعود مع الرضي بحاله افضل من التداوي
للقوة والصلوة قايما وسيل سهل رحمه الله عن شرب الدوا فقال كل من دخل في شي من الدوا
فانما هو سعة من الله لاهل الضعف ومن لم يدخل في شي منه فهو افضل لانه اذا اخذ شيا من
الدوا ولو كان هو الماء البارد لسيل عنه لم اخذت ذلك ومن لم ياخذ فلا سوال عليه وكان مذهب
ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب
مثل الصبر والرضي والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال
القلوب الا اذا كان الم غالبا مدهشا وقال سهل رحمه الله علل الاجسام رحمة وعلل القلوب
عقوبة. الفن الخامس ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خايف منها عاجز
من تكفيرها فيري المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال
صلي الله عليه وسلم لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبرد ما عليه خطيئة
وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة قيل لانها تهد قوة سنة وقد قيل الانسان ثلثماية وستون مفصلا
فيدخل الحمى جميعها ويجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه
حتى مات رضي الله عنه وقد سال ذلك طايفه من الانصار وكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان
في الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى صلوات الله عليه لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصايب
والامراض على جسده وماله لما يرجوا في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى صلوات الله عليه
نظر الي عبد عظيم البلا فقال يا رب ارحمه فقال تعالي فكيف ارحمه مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه
وازيده في درجاته السبب السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان
بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فيعاوده الغفلة والبطر
والطغيان او طول الامل والتسويف في تدارك الفايت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن
قوة الصفة وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعوا الي المعاصي واقلها ان تدعوا الي
التنعم في المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال الربح العظيم الذي في مخالفة النفس وملازمة

الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه في الامراض والمصايب ولذلك قيل
لا يخلوا المومن من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالي يقول الفقر سجني والمرض قيدي
احبس به من احببت من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير
يزيد عليه ولم ينبغي ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك علي نفسه فالعافية في ترك المعاصي
وقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي فقال في عافية فقال ان كنت لم تعص الله
عز وجل فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي دا ادوي من المعصية وما عوفي من
عصي وقال علي رضي الله عنه لما رآي زينه النبط بالعراق في يوم عيدهم قال ما هذا الذي
اظهروه قالوا هذا يوم عيدهم يا امير المومنين فقال كل يوم لا نعصي الله تع فيه فهو لنا عيد قال تع
وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون قيل العوافي فالانسان يقع في المعاصي بدوام العافية
عليه كما قال تع ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فالاستغناء قد يكون بالعافية اكثر مما
يكون بغيرها واي استغناء اتم من العافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى كما ذكر
الله تع ذلك في كتابه حكاية عنه فقال ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى لطول العافية
لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعي الربوبية
ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هاذم اللذات وقد قيل الحمى بريد الموت فهي مذكرة به
وتدفع التسويف وقال تع اولا يرون انهم يفتنون الي آخر الاية قيل يفتنون بالامراض يختبرون
بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسل
بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف يستوحشون لذلك اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص
من نفس او مال وقالوا لا يخلوا المومن في كل اربعين يوما ان يروع روعة او يصاب بنكبة
حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي عليه السلم عرض عليه امرأة
فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اليك عني من اراد ان ينظر الي رجل من اهل النار فلينظر الي هذا وهذا لانه ورد
في الخبر ان الحمى حظ كل مومن من النار وفي حديث انس وعايشه قيل يا رسول الله هل يكون
مع الشهدا يوم القيمة غيرهم قال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ آخر الذي

يذكر ذنوبه فيحزن منه ولاشك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوايد المرض راي جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها الا من حيث راوا التداوي نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله صلى الله عليه وسلم **بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال** فان قال قايل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ليسن لغيره والا فهذا حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال له فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم وان قال ذلك ايضا شرط فليكن من شرطه ان لا دعته الحية والعقرب ان لا ينحيها عن نفسه اذ الدم يلدغ الباطن والعقرب يلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة رضي الله عنهم في فتنة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الي الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الي التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله عز وجل ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى الم تر الي الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فرجعوا الي عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون في رايه انفر من قدر الله عز وجل فقال عمر نفر من قدر الله عز وجل الي قدر الله ثم ضرب مثلا وقال ارايتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احدهما مخصبة والاخرى مجدبة اليس ان رعي المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وان رعي المجدبة رعاها بقدر الله فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ليسأله عن رايه وكان غايبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن فساله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المومنين شي سمعته من رسول الله صلعم فقال عمر الله اكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم الوباء في الارض فلا تقدموا عليه وان وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم رضي الله عنهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل فان قلت فلم نهي عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب الهواء واظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في ان الفرار من المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر

وترك التوكل في امثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله
عز وجل ان الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه
عفونة ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء منه
على الظاهر الا بعد طول التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم
من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيه فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما
ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه انضاف
اليه امر آخر وهو انه لو رخص الاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون
وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم
يعجزون عن مباشرة ذلك بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان
خلاص الاصحاء منتظر ولو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص
وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمؤمنون كالجسد اذا
اشتكى منه عضو تداعى الى سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا من تعليل النهي وينعكس
هذا فيمن لم يقدم على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق
في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول
ههنا لاجل الاعانة او لا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين
ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين
وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لم يلاحظها ونظر الى ظواهر الاخبار والآثار تناقض عنده
اكثر ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا يكثر وانما شرف العلم وفضيلته لاجل ذلك فان قلت
ففي ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال الفضل فنقول
فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات
او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات
الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تعالى الادوية من لطائف المنافع
حتى صار في حقه موهوما كالرقية او كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي او كان التداوي يشغله
عن حاله لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمالات
بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه

اعلي من هذه المقامات كلها اذ كان حالة يقتضي ان يكون مشاهدته علي وتيرة واحدة عند وجود الاسباب
وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الي مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم يضره الاسباب
كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهة له وان كان كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة
الي من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستوي الحجر والذهب اكمل من الهرب عن الذهب دون الحجر
وكان صلي الله عليه وسلم استوي المدر والذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد
فانه منتهي قوتهم لا لخوفه علي نفسه من امساكه فانه صلي الله عليه وسلم كان اعلي رتبة من ان تغره
الدنيا وقد عرضت عليه خزاين الارض فابي ان يقبلها فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب
وتركها لمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الادوية جريا علي سنة الله ق وترخيصا لامته فيما تمس
اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا
من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء وهذا قد نهي عنه من حيث انه يقصد به الصحة ليستعان
بها علي المعاصي وذلك منهي عنه والمومن في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من المومنين لا يري الدواء
نافعا بنفسه بل من حيث انه جعله الله سببا للنفع كما لا يري الماء مرويا والخبز مشبعا فحكم التداوي في
مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة علي الطاعة او علي المعصية كان له حكمها وان اكتسب
للتنعم المباح فله حكمه فتعد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك التداوي قد يكون افضل في بعض
الاحوال وان المداوي قد يكون افضل في بعضها وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص
والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقي
فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكتمانه
اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلي المقامات لان الرضي بحكم الله
والصبر علي بلائه معاملة بين العبد وبين الله ع فكتمانه اسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار لا باس
به اذا صحت النية فيه والقصد ومقاصد الاظهار ثلثة الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الي
ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله ع فقد
كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها
ويقول انما اصف قدرة الله تعالي في الثاني ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدي به وكان
مكينا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهر
انه يري المرض نعمة يشكر عليها ويتحدث به كما يتحدث بالنعم وقد قال الحسن البصري رضي الله عنه

لو احمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى

وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه

كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا شكاية فقال اتجلد على الله عز وجل

فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم فيه من القوة والصرامة وتادب فيه بتاديب النبي صلى الله عليه

وسلم اياه حيث مرض فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال

لقد سالت الله تعالى البلاء فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان

ذكره شكاية والشكوى من الله عز وجل حرام كما ذكرناه في تحريم السؤال على الفقراء الا بضرورة ويصير

الاظهار شكاية بقرينة التسخط واظهار الكراهة لفعل الله عز وجل فان خلا عن قرينة التسخط وعن

النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه

ربما يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود من العلة ومن يترك التداوي توكلا فلا وجه في

حقه الاظهار لان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث

فلم يصبر قيل في معنى قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب صلوات الله عليه ما الذي اذهب

بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت الشكوى الى عبادي فقال يارب

اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون

انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب الا انينه في

مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول

لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض

العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم اذا مرض اغلق

بابه فلم يدخل اليه احد حتى يبرا فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وبشر بن

الحارث وكان فضيل رحمه الله يقول لا اشتهي ان امرض بلا عواد وقال ايضا لا اكره العلة الا لاجل العواد

آخر كتاب التوكل

والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد

وآله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا

كتاب المحبة والشوق والرضا

وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا وخضرتها وصفى اسرارهم عن ملاحظة
غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لهم باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته
ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احرقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء
كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه العقل وبصيرته
وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهله
وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته محترقة بنار محبته والصلوة
على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة الحق وازمته
وسلم كثيرا **اما بعد** فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات
والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من
توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها
كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وساير المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها
واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة
على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق
ولذة المناجاة وساير لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر الجليل ونحن
نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا
مستحق للمحبة الا الله تعالى ثم بيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله تعالى ثم بيان سبب
زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى ثم بيان السبب
في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله ثم بيان معنى الشوق ثم بيان
محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الانس بالله ثم بيان معنى
الانبساط في الانس ثم القول في معنى الرضى وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان ان الدعا
وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي ثم بيان ذكر حكايات وكلمات للمحبين متفرقة

بيان شواهد الشرع في حب الله تعالى اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله فرض وكيف

يعرض ما لا وجود له وكيف ينكر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد وان يتقدم الحب
ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا
اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب لله واثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون
الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين
وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الآية وانما اجرى ذلك
في معرض التهديد والانكار وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به
من نعمه واحبوني لحب الله تعالى وروي ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال صلى الله عليه وسلم
استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلعم الى
مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل
الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله
الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابرهيم عليه السلم قال لملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل
رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت
الآن فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج
قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم
ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وجاء
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت
لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن
من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال
ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون
عنه بالدنيا وروي ان عيسى عليه السلم مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم
ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم

الي ثلثة آخرين فاذاهم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما اري قالوا الشوق الي الجنة
فقال حق علي الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الي ثلثة آخرين فاذاهم اشد نحولا وتغيرا
كان علي وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما اري قالوا الحب لله تعالي فقال انتم
المقربون انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نايم علي الثلج فقلت اما تجد
البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال تدعي الامم يوم القيمة بانبيائهم
عليهم السلم فيقال يا امة موسي ويا امة عيسي ويا امة محمد غير المحبين لله تعالي فانهم ينادون يا
اولياء الله هلموا الي الله سبحانه فيكاد تنخلع قلوبهم فرحا وقال هرم بن حيان المومن اذا عرف
ربه تعالي احبه فاذا احبه اقبل اليه فاذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الي الدنيا بعين
الشهوة ولم ينظر الي الآخرة بعين الفترة وهو يحسره في الدنيا ويروحه في الآخرة وقال يحيي بن
معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش
العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك
محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيي بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الي من عبادة
سبعين سنة بلا حب وقال يحيي بن معاذ الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني
اليك وسربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة
وزهدا وشوقا ورضاء وحبا يسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا
بقولك ولما طر شاربي ولاح طايري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي
ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني احبك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه
مصروف وقد ورد في حب الله تعالي من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر
وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به **بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق
معني محبة العبد لله تعالي** اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة
المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق
الله تعالي فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان
ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات
في انقسامها تنقسم الي ما يوافق طبع المدرك ويلايمه ويلذه والي ما ينافيه وينافره ويولمه والي
ما لا يوثر فيه بايلام والتذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه

لالم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذا كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الي الشئ اللذيذ فان تاكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معني الحب لابد من معرفته الاصل الثاني ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات بهذا الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروايح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم ان لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمي النسا محبوبات ولاحظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمي الصلوة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس يشارك فيها البهايم الانسان فان كان الحب مقصورا علي مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب واذا قد بطل خاصية الانسان وما يميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه بالعقل او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وههنا فالبصيرة الباطنة اقوي من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معني للحب الا الميل الي ما في ادراكه لذة كما سياتي تفصيله فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهايم فلم يجاوز ادراكه الحواس اصلا الاصل الثالث ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره

لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل علي الضعفاء حتي يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان
غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الي المحب سوي ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود
فلنبين اقسام المحبة واسبابها وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي ذاته ومعني حبه لنفسه
ان في طبعه ميلا الي دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملايم
للمحب واي شي اتم ملايمة من نفسه ودوام وجوده واي شي اعظم مضادة ومنافرة له
من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه
بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب
وعقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة الم في
الحيوة ومهما كان مبتلي ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان
فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام الوجود محبوب
فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الي القدر المفقود
وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه ممقوت في اصل
الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع
بحكم سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذن المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه
ثم ماله وولده وعشيرته واصدقائه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود
ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا ساير
الاسباب فالانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود
وكماله بها حتي انه يحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في
الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من
هو قايم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن ان يطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل
ولده وكان طبعه باقيا علي اعتداله آثر بقاء نفسه علي بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه
بقاءه من وجه وليس بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الي حبه لكمال
نفسه فانه يري نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب
الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذن
المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا

فهو اول الاسباب السبب الثاني الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب
على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشارة الى ان حب القلوب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو
جبلة وفطرة لا سبيل الى تغيرها وبهذا السبب يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه
ولا علاقة وهذا اذا حقق يرجع الى السبب الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة وسائر
الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهنى الوجود الا ان
الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن
فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام
صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب للصحة اذ الصحة
مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ
محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام
والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لكن الطعام
محبوب لذاته والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذن يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة
والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكان من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته
حقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص
الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه السبب الثالث
ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي
البالغ الذي يوثق به بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند
مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا
لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة
لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون
محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء وتوكل الخضرة
او ينال منها حظ سوى نفس الروية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الخضرة والماء
الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والطيور المليحة الالوان
الحسنة النقش المتناسبة التشكل حتى ان الانسان لينفرج عن الغموم بالنظر اليها لا

لطلب حظ وراء النظر فهذه اسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال لا يخلو ادراكه
من لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند
من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال الاصل الرابع
في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن
انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا
بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحس الاغلب
على الخلق حس الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا
ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا
وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج
البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا
ثوب حسن وهذا كوز حسن فاي معنى لحسن الصوت والخط وساير الاشيا ان لم يكن الحسن
الا في الصور ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات
الحسنة الطيبة وما من شي من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي
تشترك فيها هذه الاشيا لابد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب
فيه فنصرح بالحق ونقول كل شي فجماله وحسنه في ان يحضر كماله الممكن له اللايق به فاذا كانت جميع
كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر
ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو
وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة
ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شي كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شي في كماله الذي
يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن
الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك ساير الاشيا فان قلت فهذه الاشيا وان لم يدرك
جميعها بحس النظر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات
وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك
في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا
خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة

يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وساير خلال الخير وشي من هذه
الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة
والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآثاره الامر كذلك كانت الطباع مجبولة
علي حب الانبيا، وعلي حب الصحابة رضي الله عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل علي حب ارباب
المذاهب مثل الشافعي وابي حنيفه ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب
مذهبه حد العشق فيحمله ذلك علي ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر
بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت
شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن
صورته فاستحسانه الذي حمله علي افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان
صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى
وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ونشره هذه الخيرات
في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك
من يحب ابا بكر الصديق رضه ويفضله علي غيره او يحب عليا رضه ويفضله علي غيره ويتعصب له فلا
يحبهم الا استحسانا لصورتهم الباطنة من العلم والدين والتقوي والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم
ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك
قد زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي
هي مصادر السير الجميلة وكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك
الصفات ترجع جملتها الي العلم والقدرة اذا علم حقايق الامور وقدر علي حمل نفسه
عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير ينشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس
ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى
صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذن الجمال موجود في السيرة ولو صدرت
السيرة الجميلة من علم وبصيرة فلم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق
الحميدة والفضايل الشريفة ويرجع جملتها الي كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير
مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلي وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غايبا او حاضرا حيا او
ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وساير الخصال الحميدة

فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يتمالك ان لا يحبه فهذا غلب حب الصحابة رضي الله عنهم و بغض
ابي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس
بل لما وصف الناس حاتما بالسخاوة ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس
ذلك عن صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض
اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار
احسانه الي المحبين لبعد المزار وتنائي الديار فاذن ليس حب الانسان مقصورا على من احسن
اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الي المحب لان كل جمال وحسن
فهو محبوب والصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ويدرك الصور الظاهرة بالبصر
الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها
فلا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه
للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط
لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورتها الباطنة السبب الخامس
المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتاكد المحبة بينهما لا بسبب جمال
او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف
وقد وصفنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجائب
اسباب الحب فاذا رجع اقسام الحب الي خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه
وكماله وبقاءه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الي دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات
عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الي الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل
في ذاته سواء كانت من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية
في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان
للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الي الخلق و محسن
الي الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب ويكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب
قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب
لا محالة في اعلى الدرجات فليتبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها
الا في حق الله فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده

وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تع وان حب الرسول
محمود لانه عين حب الله وكذا حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب
ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة
عند ذوي البصاير الا الله تع ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان يرجع الى الاسباب الخمسة التي
ذكرناها نبين انها مجتمعة في حق الله تع بجملتها ولا يوجد في غيره الا آحادها وانها حقيقة في
حق الله تع ووجودها في غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك
انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تع تحقيقا وبان ان
التحقيق يقتضي ان لا يحب احد غير الله تعالى فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقاؤه
وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور
ان ينفك عنه وهذا يقتضي غاية المحبة لله تع فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه
لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وبالله والى الله تبارك وتع
فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب
الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب الا والعبد من حيث ذلك لا وجود له من ذاته
بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تع عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله
تعالى عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس
في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحي الذي هو قايم بذاته وكل ما سواه قايم به فان احب
العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان
عرفه خالقا موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله
بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها
ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور
ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومثاله معلوم ان المبتلى بحر
الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي قوام الظل وكل ما في الوجود
بالاضافة الى قدرة الله تع هو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان
الظل من آثار قدرته ووجود الظل تابع لوجوده كما ان وجود النار تابع للشمس ووجود
الظل تابع للشخص بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام او تخيلات النوراش

الشمس وفايض منه وموجود به وهو خطاء محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر
من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس
وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها ايضا حاصل من قدرة الله تعالى
ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقايق فاذن ان كان حب الانسان نفسه
ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره واعراضه
ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل
عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة
التي يشارك البهايم في التنعم بها والاتساع فيها دون عالم الملكوت التي لا يطأ ارضه الا من
يضرب الى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر
انحطاطه الى حضيض عالم البهايم واما السبب الثاني وهو حبه من احسن اليه فواساه بماله
ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانهض
وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا
بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله فقط واما
انواع احسانه الى كل عبده فلست اعدها اذ ليس يحيط به حصر حاصر كما قال الله وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكني اقتصر الآن الى بيان ان
الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله ولنفرض فيمن انعم عليك
بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف كيف تشاء فتظن ان هذا الانسان منه وهو غلط فانه
انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن
الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه
وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل
ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه
او دنياه في ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن
هو الذي اضطره وسخره لك وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل واما يده
فواسطة يصل فيها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر فيه اضطرار مجرى الماء في جريان
الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت

جاهلا بحقيقته الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الي نفسه اما الاحسان الي غيره
فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل
وهو المنة والاستسخار او الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب قلوب الخلق
الي الطاعة والمحبة وكما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد انسان
الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصوده واما انت فلست مقصودا بل يدرك آلة
في القبض حتي يحصل غرضه من الذكر والثناء او الشكر او الثواب بسبب قبضك المال
فقد استسخرك في القبض للتوصل الي غرض نفسه فهو اذن محسن الي نفسه ومعتاض
عما بذله من ماله عوضا وهو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ لما نزل عن ماله
لاجلك اصلا والبته فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط
الله الدواعي عليه فلا قدرة له علي المخالفة فهو جار مجري خازن الامير فانه لا يري محسنا
بتسليم خلعة الامير الي من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الي الطاعة والامتثال
لما يرسمه ولا يقدر علي مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلمه وكذلك كل محسن لو خلاه
الله ونفسه لم يبذل عن حبة من ماله حتي سلط الله الدواعي عليه والقي في نفسه ان
حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو اوفي
عنده واحب مما بذله فكما لا يعد البايع محسنا لانه بذله بعوض هو احب عنده مما بذله
فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثناء او عوضا آخر وليس من شرط العوض
ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اعواض يستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها
فالاحسان بالجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الي الباذل وذلك محال من
غير الله تع فهو الذي انعم علي العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه
فانه يتعالي عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق
غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان
والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله
تعالي اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة
علي الاحسان بشرط الجهل بمعني الاحسان وحقيقته واما السبب الثالث وهو حب
المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه هذا ايضا موجود في الطباع فاذا بلغك خبر

ملک عالم عابد عادل رفیق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض
بعید عنک وبلغک خبر ملک آخر ظالم متکبر فاسق متهتک شریر وهو ایضا بعید عنک فانک
تجد في قلبک تفرقة بینهما اذ تجد في القلب میلا الی الاول وهو الحب ونفرة عن
الثاني وهو البغض مع انک آیس من خیر الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع
طمعک عن التوغل الی بلادهما فهذا حب المحسن من حیث انه محسن فقط لا من حیث
انه محسن الیک وهذا ایضا یقتضي حب الله تع بل یقتضي ان لا یحب غیره اصلا الا من حیث
یتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الی الکافة المتفضل علی جمیع اصناف الخلق اولا
بایجادهم وثانیا بتکمیلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفیههم
وتنعیمهم بخلق الاسباب التي هي من ضروراتهم في مظان حاجاتهم وان لم یکن في مظان
الضرورة ورابعا بتجمیلهم بالمزایا والزواید التي هي في مظنة زینتهم وهي خارجة عن
ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الراس والقلب والکبد ومثال المحتاج
الیه العین والید والرجل ومثال الزینة استقواس الحاجبین وحمرة الشفتین وتلون
العینین الی غیر ذلک مما لو فات لم ینخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورة من النعم الخارجة
من بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواکه ومثال المزایا
والزواید خضرة الاشجار وحسن اشکال الانوار والازهار ولذاید الفواکه والاطعمة التي لا
ینخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلثة موجودة لکل حیوان بل لکل نبات
بل لکل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الی منتهی الثری فاذن هو المحسن وکیف
یکون غیره محسنا وذلک المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن
وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة ایضا لغیره جهل محض
ومن عرف ذلک لم یحب بهذه العلة الا الله تع واما السبب الرابع وهو حب کل جمیل لذات
الجمال لا لحظ ینال منه وراء ادراک الجمال فقد بینا ان ذلک مجبول في الطباع وان الجمال
ینقسم الی جمال الصور الظاهرة المدرکة بعین الراس والی جمال الصور الباطنة المدرکة بعین
القلب ونور البصیرة فالاول یدرکه الصبیان والبهایم والثاني یختص بادراکه ارباب القلوب
لا یشارکه فیه من لا یعلم الا ظاهرا من الحیوة الدنیا وکل جمال فهو محبوب عند مدرک
الجمال فان کان مدرکا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبیاء

والعلماء وذوي المكارم السنية والاخلاق الرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه
وساير الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك الحس آثاره
الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله عنه او الشافعي رحمة الله عليه فلا يحبهم الا لحسن ما
ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات
التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف
المصنف وحسن قول الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف من هذه الاحوال
صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم
اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم به اشرف واجل وكذلك المقدور كلما كان اعظم رتبة
واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة واشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تبارك وتعالى
فلا جرم احسن العلوم واشرفها معرفة الله وكذلك ما يقاربه ويحيط به فشرفه على قدر تعلقه
به فاذن جمال صفات الصديقين الذين يحبهم القلب طبعا يرجع الى ثلثة امور احدها
علمهم بالله وملايكته ورسله وشرايع انبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد
الله بالارشاد والسياسة والثالث تنزههم من الرذايل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة
عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والخلفاء والعلماء والملوك
الذين هم اهل العدل والكرم فانسب هذه الصفات الى صفات الله تعالى اما العلم فاين علم
الاولين والآخرين من علم الله الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات والارض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا
بل لو اجتمع اهل الارض والسماء على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة
لم يطلعوا على عشر عشيرة ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلايق
كلهم فبتعليمه علموا كما قال الله تعالى خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا
محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تعالى
فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال
ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما بتفاصيل
معيشته والتفاوت بين علم الله تبارك وتعالى وبين علم الخلايق اكثر من التفاوت بين علم

اعلم الخلق واجهلهم لان الاعلم لايفضل الاجهل الا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان
ان ينالها الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله سبحانه على علوم الخلايق كلها خارج عن النهاية
اذ معلوماته لانهاية لها ومعلومات الخلق متناهية واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز
نقص وكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان
يسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلائهما على
الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا من المشاهدة
ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الان قدرة الخلق كلهم الى
قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات
واقمعهم لخبايث النفس واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره منتهى قدرته معلوم
وانما غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانسان في بعض الامور
وهو مع ذلك لايملك لنفسه موتا ولاحيوة ولانشورا ولانفعا ولاضرا بل لايقدر على حفظ عينه
من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولايحتاج الى عد مايعجز عنه
في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلا عما لايتعلق به قدرته من ملكوت السموات
وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها
وجميع اجزائها فلاقدرة له على ذرة منها وماهو قادر عليه من نفسه وغيره وليست قدرته
من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط
بعوضة على اعظم ملك واقوى شخص من الحيوانات لاهلكته فليس للعبد قدرة الا بتمكين
مولاه كما قال في اعظم ملوك الارض ذي القرنين اذ قال انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع
ملكه وسلطنته الا بتمكين الله له في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام
العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا
من فضل الله وتمكينه فيستحيل ان يحب عبدا من عباد الله لقدرته وسياسته وتمكنه
واستيلائه وكمال قوته ولايحب الله لذلك ولاحول لاحد ولاقوة الا بالله العلي العظيم فهو
الجبار القاهر والعليم القادر السموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته
وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص في سلطانه
وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف الف مرة لم يعي بخلقه ولايمسه لغوب وفتور في اختراعه

فلا قدرة ولا قادر الا وهو اثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلا

فان كان يتصور ان يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه اصلا واما الصفة

التنزه عن العيوب والنقايص والتقدس عن الرذايل والخبايث فهو احد موجبات الحب ومقتضيات

الحسن والجمال في الصور الباطنة والانبيا والصديقون وان كانوا منزهين عن العيوب والخبايث

فلا يتصور كمال التقديس والتنزيه الا للواحد الملك القدوس ذي الجلال والاكرام واما كل مخلوق

فلا يخلو عن نقص وعن نقايص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مضطرا عن العيب والنقص فالكمال

لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما اعطاه وليس في المقدور ان ينعم بمنتهى الكمال على غيره

فان منتهى الكمال اقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخرا لغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد

بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه عن

النقايص يطول وهو من اسرار علوم المكاشفات فلا نطول به فهذا الوصف ايضا ان كان كمالا وجمالا

محبوبا فلا يتم حقيقته الا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو اشد نقصانا

كما للفرس كمال بالاضافة الى الحمار وللانسان كمال بالاضافة الى الفرس واصل النقص شامل للكل

وانما يتفاوتون في درجات النقصان فاذن الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي

لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل

ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة

في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفلت عن سطوته

وبطشه رقاب القياصرة الازلي الذي لا اول لوجوده الابدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود

الذي لا يدور امكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار

الارض والسموات خالق الجماد والحيوان والنبات المتفرد بالعز والجبروت المتوحد بالملك والملكوت

ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي يتحير في معرفة جلاله العقول ويخرس

في وصفه الالسنة الذي كمال معرفته للعارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبيا

الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد السادات والانبيا انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء

عليك وقال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك فليت شعري من ينكر امكان حب الله تعالى

تحقيقا ويجعله مجازا اينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن

او ينكر كون الله تعالى موصوفا بها او ينكر كون الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوبا بالطبع عند من

ادركه فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة علي جماله وجلاله ان يطلع عليه الا من سبقت له
منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي
مسارح المحسوسات وشهوات البهايم يترددون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
غافلون والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فالحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان
الاحسان يزيد وينقص ولذلك اوحى الله تعالى الي داود ان اود الاوداء من عبدني بغير نوال
لكن ليعطي الربوبية حقها وفي الزبور من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا
لم اكن اهلا ان اعبد ومر عيسى صلوات الله عليه علي طايفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار
ونرجوا الجنة فقال لهم مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخر كذلك فقالوا نعبده حبا له
وتعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم لاستحي ان اعبده
للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء ان لم يعط لم يعمل
وفي الخبر لا يكونن احدكم كالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل ولا كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل
واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة اذ شبه الشيء منجذب اليه والشكل الي
الشكل ميال ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير الكبير ويالف الطير نوعه وينفر عن خلاف
نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وانس النجار بالنجار وانسه به اكثر من انسه بالفلاح
وهذا امر يشهد به التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله من كتاب
آداب الصحبة وليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب المحاب فالمناسبة قد يكون في معنى ظاهر
كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبي وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي
يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال وطمع في مال او غيره كما اشار النبي صلى الله عليه وسلم اذ
قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب
والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا يرجع الي
المشابهة في الصور والاشكال بل الي معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز
ان يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليها السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك
فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق
الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي صفات الالهية
من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم

الي الحق ومنهم من الباطل الي غير ذلك من المكارم الشريفه فكل ذلك يقرب الي الله تع لا بمعنى طلب القرب
بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الادمي
فهي التي يومي اليها قوله تع ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي اذ بين انه امر رباني خارج عن
حد عقول الخلق وبشر اليه قوله تعالي انا جعلناك خليفه في الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تع
الا بتلك المناسبة واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم علي صورته حتى ظن القاصرون
ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوروا تعالي رب العالمين
عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تع لبعض الانبياء مرضت فلم تعدني فقال
وكيف ذلك فقال مرض فلان ولو عدته لعدتني وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على
النوافل بعد احكام الفرايض كما قال الله تع ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض
عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الي قاصرين مالوا الي التشبيه الظاهر والي غالين مسرفين
جاوزوا حد المناسبة الي الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في
عيسى عليه السلم فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به
واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك
حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسن النوري عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد
في قول القايل لا زلت انزل في ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله فلم يزل يعدو في وجده على
اجمة قصب قد قطعت روسها حتى تقطع قدمه وتورمت ومات فيه وهذا هو اعظم اسباب الحب
واقواها واعزها وابعدها واقلها وجودا فهذه هي المعلومة من اسباب الحب وجملتها متظاهرة
في حق الله تع تحقيقا لا مجازا وفي اعلي الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوي
البصاير حب الله تع فقط كما كان المقبول الممكن عند العميان حب غير الله فقط ثم كل من يحب من
الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان
في الحب وغض عن كماله ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن
ان يوجد الا الله تع فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجمال والكمال ولا شريك له فيها وجودا
ولا يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الي حبه كما لا
يتطرق الشركة الي صفاته فهو المستحق اذن لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور
ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة اعلم ان اللذات تابعة للادراكات
والانسان جامع جملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها
الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان هزلا بل خلقت كل قوة وغريزة لامر من الامور
هي مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام
الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم
لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع
فلا يخلو غريزة من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور
الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة
الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة
والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس
الواجب فالقلب مفارق لساير اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة
كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة
عقلا بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم
العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي بها فارق الانسان البهائم وبها
يدرك معرفة الله تعالى اعز الصفات فلا ينبغي ان يذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور
كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى ساير الغرائز هي لذتها وليس يخفى
ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى
الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في
الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه
بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات
الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر
عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة
كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى
وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر

شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر به يجد لذة فان جهله تقاضاه طبعه
ان يتفحص فان علم بواطن احوال رئيس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان ذلك الذ عنده
واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حايك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه
في امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرئيس فان كان خبيرا بباطن احوال الملك
والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ من علمه بباطن امر الوزير
وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان لذته فيه اعظم فبهذا استبان
ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان كان في المعلومات ما هو الاجل
والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل
في الوجود شي اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومرتبها ومبديها
ومعيدها ومدبرها ومزينها وهل يتصور ان يكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء
والجلال اعظم من الحضرة الربوبية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجايب احوالها وصف
الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية
والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات
والذها واطيبها واشهاها واجري ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها
واجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا يتبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم
العلم بالله وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان
يعلم ان لذة المعرفة اقوى من ساير اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة ساير الحواس
الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة
الرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة
الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة لذة الوجه الجميل البالغ الجمال بالاضافة الى ما دونه في الجمال
وانما يعرف اقوى اللذات بان يكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة الجميلة
والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق الروايح الطيبة اذا اختار النظر الى الملاح علم بان
الصورة الجميلة عنده الذ من الروايح الطيبة وكذلك اذا احضر الطعام ووقت الاكل واستمر
اللاعب بالشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح
اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة

ما الغلبة والكرامة والعلم ويغرح اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق
والمعاني الباطنة اغلب علي ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة
والدجاج المسمن واللوزنج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير
خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمة اختار الهريسة والحلاوة وان كان علي الهمة كامل العقل
اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره الرياسة يدل علي انها
الذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم يكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي او الذي
ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لايبعد ان يوثر لذة الاكل المطعومات على لذة الرياسات وكما ان لذة
الرياسة والكرامة اغلب اللذات علي من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال
الحضرة الربوبية والنظر الي اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق
وغاية العبارة عنه ان يقال لاتعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولاخطر على قلب بشر وهذا الان لايعرفه الامن ذاق اللذتين جميعا فانه لامحالة يوثر التبتل
والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يراسهم لعلمه بفناء
رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لايتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت
الذي لابد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها
فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله ومطالعة صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى
العليين الي اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها
لاتضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض فاذا خرج النظر عن المقدرات
فلانهاية لعرضها فلايزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها
ويقطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولاممنوعة ثم هي ابدية
سرمدية لايقطعها الموت اذ الموت لايهدم محل معرفة الله اذ محله الروح الذي هو امر رباني سماوي
انما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوايقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها ولاتحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم الآية ولاتظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة
الف شهيد وفي الخبران الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة اخرى لعظم ما يراه من
ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء فاذن جميع اقطار

ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منها حيث يشاء من غير حاجة الي ان يتحرك عليها
بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله
مثلها من غير ان تضيق بعضهم علي بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم بقدر تفاوتهم
في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم
فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوي في ذوي الكمالات من لذات الحواس كلها وان هذه
اللذة لا يكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال
مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة عليها فاما كون معرفة الله وصفاته وافعاله وملكوت سماواته
واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات
ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع
علي لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه علي لذة شم البنفسج عند العنين لانه
فقد الصفة التي يدرك بها هذه اللذات ولكن من سلم من آفات العنة وسلم حاسة شمه
ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقي الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب
العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف
المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم علي طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان
كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهيات فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه
وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف
من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا
يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوي فهذا القدر كاف ينبهك علي ان معرفة الله سبحانه
وتعالي الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم
عن الله خوف النار ورجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف
له اخبرني يا ابا محفوظ اي شيء هاجك الي العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت
فقال واي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء
الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا هذا كله بيده ان احببته انساك جميع ذلك وان كانت بينك
وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسي عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا في طلب الرب
فقد الهاه ذلك عما سواه ورأي بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار

وعبد الوهاب الوراق قال لتركتهما الساعة بين يدي الله ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله
قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن موفق انه قال رايت في النوم
كاني ادخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا علي مايدة ملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات
وهو ياكل ورايت رجلا قايما علي باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا ويرد بعضا قال ثم
جاوزتهما الي حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الي الله لا يطرف
فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الي جنته
بل حبا له فاباحه الله النظر اليه الي يوم القيمة وذكر ان الآخرين بشر بن الحارث واحمد بن حنبل
رضي الله عنهم ولذلك قال ابو سليمان الداراني من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا بنفسه مشغول
ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا بربه مشغول وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قالت
ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في
معنى المحبة نظما شعر احبك حبين حب الهوى • وحبا لانك اهل لذاكا •
فاما الذي هو حب الهوى • فشغلي بذكرك عمن سواكا • واما الذي انت اهل له • فكشفك لي الحجب حتى اراكا •
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي • ولكن لك الحمد في ذا وذاكا • ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه
اليها وانعامه عليها بحظوظها العاجلة وبحبها لما هو اهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف
لها وهو اعلي الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها صلى الله عليه وسلم
حيث قال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر
وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه الي الغاية ولذلك قال بعضهم
اني لاقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل علي قلبي من الجبال لان النداء يكون من وراء حجاب
وهل رايت جليسا ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة
اي يخرج كلامه عن حد عقلهم فيرون ما يقوله جنونا او كفرا فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاوه
فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم منها واذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات
كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم
الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لا يفهم
الا حب المحسوسات كيف يومن بلذة النظر الي وجه الله وما له صورة وشكل واي معنى لوعد الله
به عباده وذكر انه اعظم النعم بل من عرف الله عز وجل عرف ان اللذات المتفرقة بالشهوات

المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ولذلك قال بعضهم وهجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته وما ارادوا بها الا ايثار لذة القلب في معرفة الله تع على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب ولذته في لقاء الله تعالى فقط ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من ساير الاشياء ثم تظهر بعده الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب واللهو حتى يكون ذلك الذ من ساير الاشياء ثم تظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليه ثم يظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا واعلاها واقواها كما قال تع اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الاية ثم بعد هذا يظهر غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ تظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد عشرين سنة وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام المتكونة المتشكلة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله سبحانه وتعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق لمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صار بالرؤية اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم راى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احدى

الحالين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذن الخيال اول الادراك والروية هو استكمال لادراك الخيال
وهو غاية الكشف وسمي ذلك روية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق هذا الادراك الكامل
المكشوف في الجبهة او الصدر استحق ان يسمى روية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان
المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احديهما اولى والثاني استكمال
لها وبين الثاني والاول من التفاوت في مزيد الكشف والاتضاح ما بين المتخيل والمرئي ويسمى
الثاني ايضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء وروية وهذه التسمية حق لان الروية سميت روية
لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالروية ويكون
حجابا بين البصر والمرئي ولابد من ارتفاع الحجاب لحصول الروية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل
مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات
وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة
عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن روية الابصار والقول في
سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تع لموسي عليه السلم لن تراني وقال تعالى
لا تدركه الابصار في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما راي الله ليلة المعراج فاذا ارتفع
الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة
فمنها ما تراكم عليها الخبث والصداء فصار كالمرآة التي فسدت بطول تراكم الخبث على جوهرها
فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهولاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الآباد نعوذ بالله منه ومنها ما لم
ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتنبه فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث
الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها
في حق المومنين كما ورد به الاخبار سبعة آلاف سنة ولم يخل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها
غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة
للصدور عنها فاذا اكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع
من العرض والحساب وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه احدا من
خلقه فانه واقع بعد القيمة ووقت القيمة مجهول فعند ذلك يستعد بصفائه ونقائه عن الكدورات
حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف

تجليه بالاضافة الي ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الي ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي
هي التي تسمى رؤية فاذن الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص
بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية
تامة من غير تخيل وتصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا
بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة
في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال
في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال
تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الي غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها
الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة
بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في
زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر
الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما ينقلب النواة شجرا والبذر زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل
له نخل ومن لم يزرع البذر فكيف يحصد الزرع فمن لم يعرف الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة
ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي
بالاضافة الي اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الي اختلاف البذور اذ يختلف
لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان يظن ان غير ابي بكر ممن هو دونه يجد من
لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا عشر
عشيره ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجلي انفرد به وكما انك ترى في الدنيا من
يؤثر لذة الرياسة على المنكوح والمطعوم ترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف ملكوت السموات والارض
وساير الامور الالهية علي الرياسة وعلي المنكوح والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم
يؤثرون لذة النظر الي وجه الله تع علي نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الي المنكوح والمطعوم وهؤلاء
بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع على اسرار الربوبية
علي المنكوح والمشروب وساير ما الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت
الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات الي الجنة بل الي رب الجنة وكل من لم يعرف الله في

الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة اذ ليس
يستانف لاحد من الآخرة مالم يصحبه من الدنيا فلا يحصد في الآخرة احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا علي
ما مات عليه ولا يموت الا علي ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هي التي يتنعم بها بعينها فقط الا
انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فيتضاعف اللذة به كما يتضاعف لذة العاشق اذا استبدل
بخيال صورة المعشوق روية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل احد فيها ما اشتهى
فمن لا اشتهى الا لقاء الله فلا لذة له في غيره بل ربما يتاذى به فان نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى
وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايمان فان قلت
فلذة الروية ان كان لها نسبة الي لذة المعرفة فهي قليلة وان كان اضعافها لان لذة المعرفة
في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الي حد قريب لا انتهى في القوة الى ان يستحقر سائر لذات الجنة فاعلم
ان هذا الاستحقار للذة المعرفة مصدره الخلو عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها
وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلايق الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في
معرفتهم وفكرهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا
بها ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها اصلا الي لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال
المعشوق الي رويته ولا للذة استنشاق روايح الاطعمة الشهية الي ذوقها ولا للذة اللمس باليد
الي لذة الوقايع واظهار عظيم التفاوت بينهما لا يمكن الا بضرب مثال فنقول لذة النظر الي وجه
المعشوق في الدنيا يتفاوت باسباب احدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر
الي الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق وليس التذاذ من اشتد عشقه
كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق
في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء
ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حايل كادراكه مع التجرد والرابع اندفاع العوايق المشوشة والالام
الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر الي المعشوق كالتذاذ الخايف المذعور
او المريض المتالم او المشغول قلبه بمهم من المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الي
وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع
عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من
مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجاءة حالة انهتك بها الستر واشرق به الضوء واندفع عنه

المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات
فانظر كيف يتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاول اليه نسبة يعتد به فكذلك فافهم نسبة لذة
النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال
الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف
الشهوة والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الاعلى
والتفاته الى اسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياسة والتفاته
الى اللعب بالعصفور فالعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه الشهوات
المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البته نعم قد تضعف هذه العوايق في بعض الاحوال
ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل ويعظم لذته بحيث يكاد القلب ينفطر
لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر
ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحيوة الفانية فلا يزال هذه اللذة منغصة
الى الموت وانما الحيوة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه الا
من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والاحاطة
بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وافعاله وباسرار مملكته وقويت كثر النعيم
في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر
الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعات الله لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في
العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علايق الدنيا والتجرد
للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه لانه راى نفسه واقفا في المعرفة
بالغا الى منتهى ما يتيسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول
العمر وراى نفسه مقصرا عما يحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند اهل
المعرفة واما ساير الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء وان
ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة
مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى

العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من
ساير اللذات عند ذوي الكمال وان لم يكن لذلك عند ذوي النقصان كما لم يكن الرياسة الذ من المطعومات
عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين في الآخرة فاعلم ان الناس اختلفوا
فيه وارباب البصاير لا يلتفتون الي ذلك اي لا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن
المبقلة ومن يشتهي رؤية المعشوق يشغله عشقه عن ان يلتفت الي رؤيته تخلق اي عينه او في
جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان بالعين او غيرها فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم
له والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان يحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم
الجواز فاما الواقع في الآخرة من الجايزين فلا يدرك الا بالسمع والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من
شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وساير الالفاظ الواردة في الشرع
مجري علي ظاهرها اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا بضرورة والله اعلم بيان الاسباب المقوية لحب الله
عز وجل اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تع فان الآخرة معناها القدوم على الله تع
ودرك سعادة لقايه وما اعظم نعيم المحب اذا اقدم علي محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته
ابد الآباد من غير منقص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم
على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تع في الدنيا واصل
الحب لا ينفك عنه مومن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار
الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بشيئين احدهما قطع علايق الدنيا
واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل ما لم يخرج منه الماء وما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الي غيره فزاوية من قلبه
مشغولة لغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص
الخل المصبوب فيه والي هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تع قل الله ثم ذرهم وبقوله تع ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب
فانه معبود فان العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال
تعالى افرايت من اتخذ الهه هويه فقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه
لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله

فالدنيا بجنته لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب فما حال من
ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلي من السجن وتمكن من المحبوب
وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل
والمال والولد والاقارب والدواب والبساتين والمنتزهات حتى ان المتفرج بطيب صوت الطيور
وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه فبقدر ما انس بالدنيا
انتقص انسه بالله ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما انه
لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا
ويضيق به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي
القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلوب سلوك طريق
الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة
والصبر والزهد والخوف والرجاء مقدمات ليكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن
غير الله واوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب
منهما التوبة والصبر عليهما ثم يجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا
حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه وكل
ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان
كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تبارك وتعالى واتساعها
واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع
البذر في الارض بعد تطهيرها من الحشيش وهو شطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة
المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله مثلا حيث قال الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال له وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا من الدنيا
ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فانما يراد للعمل فالعلم هو
الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته
ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها
المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا ابصر المليح وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال

اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل
الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا الفكر الصافي والذكر الدايم والجد
البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وملكوت سمواته وساير مخلوقاته والواصلون
الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقويا ويكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون
اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منه الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل
شي شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت
ربي بربي فلولا ربي لما عرفت ربي والى الثاني الاشارة بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم
وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله
الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور
ثم ارجع البصر كرتين وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة
القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر بالاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا
الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على ساير الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم
اكثر الخلق فلا فايدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن حد
الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس
والمانع من ذكره هنا اتساعه وكثرته وانشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من اعلى
السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجايب وآيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله
وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة فلا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن
الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبيه بجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال
فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها واصغرها ولننظر في
عجايبها فاقل المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملايكة وملكوت السموات فانك
ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الارض
مائة ونيفا وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى
فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لا نسبة له اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى
ما فوقها من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا

نظر الي عظام الاشخاص من حيث المقادير وما احقر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما احقر الارض كلها
بالاضافة الي البحار فقد قال صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض ومصداق
هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض الماء كجزيرة صغيرة بالاضافة الي
كل الارض ثم انظر الي الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والي ساير الحيوانات
والي صغره بالاضافة الي الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض
والنمل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتامله بعقل حاضر وفكر صاف وانظر
كيف خلقه الله تعالى علي شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه وخلق
له علي شكله الصغير ساير الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم اعضاؤه
الظاهرة فانبت جناحه واخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء
الغذاء وآلاته مثل ما دبره في ساير الحيوانات وركب فيها من القوي الغاذية والجاذبة والدافعة
والماسكة والهاضمة ما ركب في الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الي هدايته كيف هداه
الله تعالي الي غذايه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف انبت له آلة الطيران الى الانسان
وكيف له الخرطوم الطويل وهو محدد الراس وكيف هداه الي مسام بشرة الانسان حتى يضع
خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى غرز فيه الخرطوم وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف
خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الدقيق وينتهي الي باطنه وينتشر في ساير
اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب كاستعمال آلته
وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب
ثم اذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذايه فيقصده مع صغر
حجم وجهه وانظر الي حدقة كل حيوان صغير لما لم يحتمل الاجفان لصغره وكان الاجفان مصقلة
لمراة الحدقة عن الغبرات خلق للبعوض وللذباب يدين فتنظر الي الذباب تراه علي الدوام
يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير فقد خلق لحدقته الاجفان حتى ينطبق
احدهما على الآخر واطرافها حادة فيجمع الغبار التي تلحق الحدقة وترميها الى اطراف الاهداب
وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين علي الابصار وتحسن صورة العين وتشبكها
عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع
الابصار واما البعوض فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل

باليدن ولاجل ابصارها تراها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار

فاذا راي المسكين السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت المظلم الى

الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي نفسها الي الكوة فاذا جاوزها وراي الظلام ظن

انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليه مرة اخرى الي ان تحترق ولعلك تظن ان

هذا النقصان وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب على

شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للآدمي انوار الشهوات من حيث

ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الي ان ينغمس فيها

ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها

بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار ابد الاباد او مدة مديدة ولذلك

كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ

بحجزكم فهذه لمعة من عجايب صنع الله في اصغر الحيوانات وفيها من العجايب ما لو اجتمع الاولون

والآخرون على الاحاطة بكنهها عجزوا عن حقيقتها ولم تطلعوا على امور جلية من ظاهر صورتها

فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب يخصها لا

يشاركه فيها غيره فانظر الي النحل وعجايبه وكيف اوحى الله تبارك وتعالى اليها حتى اتخذت من

الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والآخر شفاء

ثم لو تاملت عجايب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار

وطاعتها لواحد من جملتهم هو اكبرهم شخصا وهو اميرهم ثم ما سخر الله له اميرهم من العدل والانصاف

بينهم حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها امر العجب ان كنت

بصيرا في نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالات

اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك فانظر الي بنايها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال

الشكل المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس

يقصر فهم المهندسين عن دركه وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستديرة وما يقرب منها

فان المربع يخرج منها زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا يضيع

الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة فان الاشكال

المستديرة اذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا اقرب في الاحتواء

من المسدس ثم يتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بين اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية
هذا الشكل فانظر كيف الهم الله النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج
اليه ليتهنا عيشه فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة
من محقرات الحيوانات ودع عنك عجايب السموات والارض فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر
عنه ينقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به الخلايق كلهم الى ما استاثر الله به بالاضافة
اليه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تبارك وتعالى فبالنظر في هذا وامثاله
يزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة يزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة
لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك فاستغرق العمر في الذكر الدايم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر
يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
اعلم ان المومنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكن متفاوتون لتفاوتهم في
المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما يتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى
الا الصفات والاسماء التي قرع سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها
رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم
يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا
بالعمل وتركوا البحث وهولاء معهم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون
بالحقايق هم المقربون وقد ذكر الله حال الاصناف الثلثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم واذ كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول
اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام والفقهاء لانهم يشتركون في معرفة فضله
ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فيكون
معرفة الفقيه به اتم واعجابه به ومحبته له اشد فمن راى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله
احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان راى تصنيفا آخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه
تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من
غرايب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذلك ساير الصناعات
والفضايل فالعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف
فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيه

من العجايب تضاعف حبه لا محالة لان عجايب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل
والمص والعالم بجملة صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل
صنع الله فيها حتى يرى في البعوضة مثلا من عجايب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه فيزداد
بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على اعاجيب صنع
الله اطلاعا استدل به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة له وحبا وبحر هذه المعرفة اعنى
معرفة عجايب صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه
الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما
عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تغير بتغير الاحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في
حالة الرخاء والنعماء واما من يحبه لذاته فلانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فقد
لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة وهو سبب
التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال الله تعالى وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا بيان
السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تبارك
وتعالى وكان هذا يقتضي ان يكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول
ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها
لمعنى لا نفهمه الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب او يخيط كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات
فحيوته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من ساير صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته
الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف
بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حيوته وقدرته
وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحيوته وقدرته وارادته
فان هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس ثم لا يمكن ان يعرف حيوته وقدرته وارادته
الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد
ومع ذلك جلي واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وساير صفاته تشهد له بالضرورة كل ما نشاهده
وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب
وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل اول ما نشاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب
احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا

بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات لها مدرك واحد وشاهد
واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها
ومصرفها ومحركها ودالة علي علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كان
حيوة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له الا شاهد واحد وهو ما احسسناه من حركة يده
فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شي داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه
وعلي عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها
بذاتها وانها تحتاج الي موجد ومحرك لها يشهد بذلك تركب اعضائنا وايتلاف عظامنا ولحومنا
واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وساير اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها
لم تاتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم يتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس
ومعقول وحاضر وغايب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن
ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى
مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء
النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يري شيا
الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في
نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من
ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى
عن البصاير والابصار بظهوره ولا تعجب من اختفى ذلك بسبب الظهور فان الاشيا تستبان
باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشيا فدلت بعضها دون البعض
ادركت التفرقة علي قرب ولما اشتركت في الدلالة علي نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور
الشمس المشرق علي الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة
الشمس فلو كانت الشمس دايمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها
وهي السواد والبياض وغيرها وانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض
فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين
فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقها عند الغروب فعرفنا وجود
النور بعدمه وكنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لما شاهدنا الاجسام متشابهة غير

مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك ساير المحسوسات
فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان
ضده فالله تعالى هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت
السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك به التفرقة بين الحالين في الدلالة ولكن دلالته عامة
في الاشياء على نسق واحد ووجوده دايم في الاحوال يستحيل خلافه فلاجرم اورث شدة الظهور
خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم يضعف منته فانه في حال
اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله اثر من آثار قدرته
فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا
حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض
وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره كمن نظر في شعر انسان
او خطه او تصنيفه وراى فيه الشاعر والمصنف وراى آثاره من حيث انه آثاره لا من حيث انه حبر وعفص
وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من
حيث انها فعل الله وعرفها من حيث انها فعل الله واحبها من حيث انها فعل الله لم يكن ناظرا الا في الله
ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا الله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث
نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني في نفسه واليه الاشارة
بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي البصاير اشكلت لضعف
الافهام عن ادراكها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى
الافهام او باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم فهذا هو السبب في قصور
الافهام عن معرفة الله وانضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان
في الصبي عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته
وقد انس بمدركاته ومحسوساته والفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على
سبيل الفجاءة حيوانا غريبا او نباتا غريبا او فعلا من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه
بالمعرفة طبعا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وساير الحيوانات المالوفة وكلها
شواهد قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة
عن عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل

البحارة لحيف علي عقله ان يتيه لعظم تعجبه من شهادة هذه العجايب علي خالقها فهذا وامثاله من
الاسباب مع الانهماك في الشهوات هي التي سدت علي الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة
والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل ان كان
راكبا لحماره وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر
فليتحقق ولذلك قيل لقد ظهرت فما تخفي علي احد الا علي اكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما اظهرت
محتجبا فكيف يعرف من بالعرف استترا بيان معني الشوق الي الله عز وجل اعلم ان من انكر
حقيقة المحبة لله تعالي فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الي المحبوب ونحن
نثبت وجوب الشوق الي الله تعالي وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار
البصاير وبطريق الاخبار والآثار اما الاعتبار فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب وكل
محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته فان الحاصل الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب
وتشوق الي نيل امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الي شي ادرك من
وجه فاما ما لم يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه لا يتصور ان يشتاق
اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالروية فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوما
بالنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم يدرك
من وجه وهو من وجهين ولا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فمن غاب عنه معشوقه وبقي
في قلبه خياله فيشتاق الي استكمال خياله بالروية فلو انمحي عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته
حتي نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الروية فمعني شوقه
تشوق نفسه الي استكمال خياله وكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته
ويشتاق الي استكمال رويته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضو عليه والثاني ان يري
وجه محبوبه ولا يري شعره مثلا ولا يري ساير اعضايه فيشتاق الي رويته وان لم يرها قط ولم
يثبت في نفسه خيالها الصادر عن الروية ولكن يعلم ان له عضوا واعضا جميلة ولم يدرك تفصيل
جمالها بالروية فيشتاق الي ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالي
بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت
في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق ولا يكون متضحا غاية الايضاح بل يكون مشوبا بشوايب
التخيلات فان الخيال لا يفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات

للعارف ومنغصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق
التجلي ولا يكون الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين
فهذا هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما والثاني ان الامور الالهية
لانهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى الامور لانهاية لها غامضة والعارف
يعلم وجودها وكونها معلومة لله ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال
مشغوفا متشوقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها
اصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي
يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه
من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يارب ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن قلوبهم
قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه
فقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك ما تسكن به قلبك قبل لقائي
وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت في حبك فلم ادر ما اقول
فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال قل اللهم ارضني بقضائك وصبرني علي بلائك واوزعني شكر
نعمائك فاذن هذا الشوق يسكن في الآخرة واما الشوق الثاني فيشبه ان لايكون له نهاية
في الدنيا ولا في الآخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله وصفاته وحكمته
وافعاله ما هو معلوم لله وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقي من
الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا
انه شوق الي استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو لذلك شوق لذيذ لا يظهر فيه الم
ولا يبعد ان يكون الطاف الكشف والنظر متوالية الي غير نهاية فلا يزال النعيم كاللذة متزايدا
ابد الآباد ويكون لذة ما يتجدد من لطايف النعيم شاغله عن الاحساس بالشوق الى ما لم
يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا اصلا فان ذلك
كان غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله
تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا محتمل لهذا المعنى وهو ان
ينعم باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد اتمام النور في عين
ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الي مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد

تمامه وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار
لابد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم تزداد في الآخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في
هذا برجم الظنون محظور ولم ينكشف لنا بعد فيه ما يوثق به فنسال الله تعالى ان يزيد علما ورشدا
ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصاير كاشف لحقايق الشوق ومعانيه واما شواهد
الاخبار والآثار فاكثر من ان يحصى فقد اشتهر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو بهذا الدعاء
اللهم اني اسئلك الرضى بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا
الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب الحبر اخبرني عن اخص آية يعني في التورية فقال يقول الله تبارك
وتعالى طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من
طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول هذا وفي اخبار داود صلوات الله عليه وسلامه ان الله تبارك وتعالى قال يا داود ابلغ اهل
ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني
ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا ابتلته
لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني
فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي
وانسوا بي او انسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابرهيم خليلي
وموسى نجيي ومحمد صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي
عن بعض السلف ان الله تع اوحي الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني
واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم
فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال
يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس
كما يحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا اجنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش
ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم من افترشوا الي وجوههم
وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قايم وقاعد
وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلث
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما

فيها في موازينهم لاستقللتها لهم وان لذة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه
يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلم ان الله تع اوحي اليه يا داود الى كم تذكر
الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال في المشتاقين الي صفيتهم
من كل كدر وانبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي واني لاحمل قلوبهم
بيدي فاضعها على سمايي ثم ادعوا نجبا ملايكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فاقول اني لم ادعكم
لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي واباهي بكم اهل الشوق
الي وان قلوبهم لتضي في سمايي لملايكتي كما تضي الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت
قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي واتخذتهم لنفسي محدثين وجعلت ابدانهم
موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون من كل يوم شوقا قال
داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ايت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شباب
وفيهم كهول وفيهم مشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقريكم السلام
ويقول لكم الا تسالون حاجة فانكم احبابي واوليايي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود
فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا
عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جيتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا باسماعهم نحو
قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود عليه السلم اني رسول الله اليكم يقريكم السلام ويقول
لكم الا تسالون حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبابي واصفيايي افرح لفرحكم
واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظرة الوالدة الشفيقة قال فجرت الدموع على
خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك
فيما مضى من عمرنا وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما
بيننا وبينك وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افنجتري على الدعا وقد علمت انه
لا حاجة بنا في شي من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر
نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا
بالتفكر في عظمتك ايجتري على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو
من نورك وقال الاخر كلت السنتنا عن دعايك لعظم شانك وقربك من اوليايك وكثرة منتك
على اهل محبتك وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا

في شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد
على سيده اذا امرتنا بالدعاء فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات بين اطباق السموات
وقال الآخر ندعوك ان تقبل علينا بجودك وتديمه عندنا وقال الآخر نسالك تمام نعمتك فيما وهبت
لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال
وجهك وقال الآخر اسألك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال
بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب اوليايك فامنن علينا باشتغال القلب
بك عن كل شيء دونك فاوحى الله الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق
كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا
الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بما نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا
واهلها والخلوات بي ومناجاتهم وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل
بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليه وافرغ نفسه
واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الى الشيء واريه كرامتي
في كل ساعة اقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان
عطش اروته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها
ولم احببها اليه لا يفتر من الاشتغال بي يستعجلني القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري
من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل وتهشمت
اعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملايكتي واهل سمواتي يزداد خوفا وعبادة
وعزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره من النظر الي حتى يرضى وفوق
الرضى وفي اخبار داود ايضا قل لعبادي المتوجهين الي بمحبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي
ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا
اذا بسطت ديني لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضايي وفي اخبار داود عليه السلم
ايضا ان الله تعالى اوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك
فان حبي وحبها لا يجتمعان في قلب يا داود خالص حبيبي مخالطة وخالط اهل الدنيا مخالطة
ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال اما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واما ما
اشكل عليك فقلدنيه حقا علي ان اكون سياستك وتقويمك واكون قايدك ودليلك اعطيك من

غير ان تسالني واعينك على الشدايد فاني قد حلفت على نفسي ان لا اثيب عبدا الا عبدا قد عرفت
من طلبته وارادته القا ر كفيه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة
عنك واسكن الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد الي نفسه ينظر الي فعالها
الا وكلته اليها اضف الاشيا الي لا تضاد عملك فتكون متعنيا ولا تنتفع بك من نصيحتك ولا تحد
لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد لزيادتي مني حدا ثم اعلم بني
اسرائيل انه ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فليعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابح لهم ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك فانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر بعينيك
في راسك الي الذين حجبت عقولهم عني فازجرها وبخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي
وجلالي لا افتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين
فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود لان تخرج مريدا من
سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا لا يكون عليه وحشة ولا
فاقة الي المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك ولا تؤتين منها فاحجب محبتي
ولا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقويا
ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي فانما عقوبة الاقويا عندي في موضع التناول
ادني ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل
بيني وبينك عالما فيحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن
على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه يا داود
تحبب الي بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة انما
اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني احبسه عنك وانت متمسك بطاعتي
واوحى الله تعالى الي داود يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي
الي ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين
عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم
ما اكون لعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون العبد اذا رجع الي فهذه الاخبار ونظايرها
مما لا يحصى يدل على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق معناها فينكشف بما سبق
بيان محبة الله تعالى العبد ومعناها اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله

يحب عبده فلابد من معرفة معناه ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه
وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ولذلك ردّ على من ادعى انه حبيب الله
فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وكذا روى انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله
عبدا لم يضره ذنب والتايب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه
انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم يضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر
الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان
يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب
ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن
تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يزال
العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاكون سمعه الذي يسمع به الحديث وما ورد من
الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله حقيقة وليس مجاز اذ المحبة
في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب
المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال ايضا موافق فان الجمال والاحسان
تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله تعالى
للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تعالى وعلى غير
الله تعالى لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء اشتراكا
لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله وجوده مستفاد من وجود الله فالوجود
التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظير اشتراك الفرس
والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق احدهما
لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود
لله ولخلقه وهذا التباعد في ساير الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك
لا تشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق
اسبق الى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة
والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملايم وهذا

انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها ويستفيد بنيله كمالا فيلتذ بنيله وهذا محال على الله
فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول ابدا
وازلا لا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته والى
افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ ابو سعيد الميهني لما قرئ عليه
قوله تع يحبهم ويحبونه قال بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس في الوجود
غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته
من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مأول
ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى
ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين
هذا العبد من سلوك طريق الحب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده
فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال ولا يزال يتقرب العبد الي بالنوافل
سببا الصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل
الله تع ولطفه به فهو معنى حبه ولا يفهم هذا الا بمثال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه
ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره بقوته او ليستريح بمشاهدته
او ليستشيره في رايه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه
لما فيه من المعنى الموافق الملائم له وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا
ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون
قريبا من حضرة الملوك وافر الحظ من قربهم مع ان الملك لا غرض له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب
بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل
وحبب نفسه الى الملك فحب الله تعالى للعبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما
يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب
فان الحبيب هو القريب من الله تع والقرب من الله تع في البعد من صفات البهائم والشياطين
والسباع والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية وهو قرب بالصفة لا بالمكان
ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف
العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال في حق الله تع اذ التغير عليه محال

بل لا يزال من نعوت الكمال والجمال والجلال على ما كان عليه في ازل الآزال ولا ينكشف هذا الا بمثال
القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون احدهما ثابتا فيتحرك
الآخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات ايضا كذلك فان
التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ ثابت واقف في كمال
علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترقي من حضيض الجهل الى يفاع
العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير
فكذلك ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة واتم علما واحاطة
بحقايق الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن الرذايل صار
اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تع وقرب كل واحد من الله تع بقدر كماله نعم قد يقدر
التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه
لا نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناهي ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع
له في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك
الكمال فاذن محبة الله تع للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه
عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه واما محبة العبد لله
فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته واذا
ادرك منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله فان قلت فمحبة الله للعبد امر
ملتبس فبم يعرف العبد انه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك
له مالا واهلا فعلامة محبة الله العبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره قيل لعيسى
عليه السلم لم لا تشتري حمارا فتركبه فقال انا اعز على الله من ان يشغلني عن نفسه بحمار وفي
الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رايتك
تحبه ورايته يبتليك فاعلم انه يريد يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشيء
من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه قال لا قال فلا تطمع في
المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا
جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال عليه السلم اذا اراد الله بعبد خيرا

بصره بعيوب نفسه فاخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله واما الفعل الدال
على كونه محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر
لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما
واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة في خلواته
والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وامثاله علامة حب الله تعالى للعبد
فلنذكر الان علامات محبة العبد لله تبارك وتعالى فانها ايضا علامات حب الله جل جلاله
للعبد والله اعلم **القول في علامات محبة العبد لله تبارك وتعالى** اعلم ان المحبة يدعيها
كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان بتلبيس الشيطان
وخداع النفس مهما ادعت محبة الله تبارك وتعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين
والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب
واللسان والجوارح ويدل تلك الاثار الفايضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان
على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا
الا ويحب مشاهدته ولقايه واذا علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت
فينبغي ان يكون محبا للموت غير فار منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر
محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على
فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة احب الى الله ان يكون في العبد بعد
حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه وتعالى لحقيقة
الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله
وطلب الشهادة علامته فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع
ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غايب احب اليك
من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غايب ابغض اليك من الموت ولن
تعجزه وروي ابن اسحق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له
يوم احد الا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت

العدو فلقيني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني
ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله فيم جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فيقول
صدقت قال سعد فلهذا رايته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط وقد كان
الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء
الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته
وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين
احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل لان الرضى بقضاء الله تعالى افضل من طلب الفرار منه فان قلت
من لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله تعالى فاقول كراهة الموت قد يكون لحب الدنيا
وللتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تعالى لان الحب الكامل هو الذي
يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من حب الله ضعيفة
فان الناس يتفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة
بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة
من عقايل قريش مولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله هذا
اشد عليهم من فعله قالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدل على ان من الناس
من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم
عليه على قدر حبه وعذابه لفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها واما السبب الثاني
للكراهة ان يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان
يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم
حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه
فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق فالكراهة بهذا السبب لا ينافي
كمال الحب اصلا وعلامته الدوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون
موثرا ما احبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة
الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تعالى [illegible] الدرجات

من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون علي انفسهم ومن بقي مستمرا علي متابعة
الهوي فمحبوبه ما يهواه. بل يترك المحب هوي نفسه لهوي محبوبه كما قيل اريد وصاله ويريد هجري
فاترك ما اريد لما يريد بل الحب اذا غلب قمع الهوي فلم يبق شغله بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما امنت
وتزوجها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الي الله تعالي فكان يدعوها
الي فراشه نهارا فتدافعه الي الليل فاذا دعاها ليلا سوفته الي النهار فقالت يا يوسف انما كنت احبك
قبل ان اعرفه فاما اذا عرفته فما ابقت محبته محبة سواه وما اريد به بدلا حتي قال لها ان الله جل ذكره امرني بذلك
واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله تعالي امرك بذلك وجعلني طريقا
اليه فطاعة لامر الله تع فعندها سكنت اليه فاذن من احب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك رضي
فيه تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب
مطيع وقيل واترك ما اهوي لما قد هويته فارضي بما ترضي وان سخطت نفسي وقال سهل علامة الحب
ايثاره علي نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المعاصي وهو كما قال
لان محبته لله سبب محبة الله له كما قال يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تولاه ونصره علي اعدائه وانما عدوه
نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله الي هواه وشهواته ولذلك قال تعالي والله اعلم باعدائكم وكفي بالله
وليا وكفي بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد
اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك
لا يدل علي عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل
ما روي ان نعيمان كان يؤتي به رسول الله صلي الله عليه وسلم في معصية يرتكبها الي ان اوتي به يوما فحده
فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتي به رسول الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله
ورسوله فلم يخرجه بالمعصية من المحبة نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقال بعض العارفين اذا
كان الايمان في ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ
وترك المعاصي وعلي الجملة في دعوي المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله تع فاسكت
فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض
العلماء ليس في الجنة نعيم اعلي من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من
ادعي المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله تع لا يفتر عنه لسانه ولا
يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن

الذي هو كلامه وحب رسوله عليه الصلوة والسلم وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب
محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الي كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه
وذلك ليس شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز
حبه الي غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله علي قلبه احب جميع خلق الله لانهم خلقه
فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب آداب الاخوة
والصحبة ولذلك قال الله تعالي قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احبوا الله لما يغذوكم من نعمه واحبوني لله تع قال سفيان من احب من احبه الله تع فانما احب الله تعالي
ومن اكرم من يكرم الله تع فانما يكرم الله تعالي وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة
المناجاة في شرخ الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال
فسمعت قايلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تري ما فيه من
لطيف عتابي فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الي حالي وقال ابن مسعود رضع
لا ينبغي ان يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم
يكن يحب القرآن فليس يحب الله عز وجل قال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن
حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب
الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة الي الآخرة ومنها ان يكون انسه
بالخلوة ومناجاة الله تع وتلاوة كتابه فيواظب علي التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت به
با نقطاع العوايق فاقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم
والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته قيل لابرهيم بن ادهم وقد نزل
من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله وفي اخبار داود عليه السلام لا تستانس الي احد من خلقي
فاني انما اقطع عني رجلين رجل استبطا ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك
ان اكله الي نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من
الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقي به موسي عليه السلم
الي الله تع قال لموسي ان برخ نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار
فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الي شيء وروي ان عابدا عبد الله تع في غيضة دهرا فنظر الي طاير
قد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الي تلك الشجرة فكنت آنس

بصوت هذا الطاير قال فنفعل ما اوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم قل لفلان العابد استانست
بمخلوق لاحطنك درجة لاتنالها بشي من عملك ابدا فعلامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب
وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة
وعلامة الانس مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه
وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلوته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطع رجل
بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلوة فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة
والمناجاة قرة عين يدفع جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لايفهم امور الدنيا مالم تكرر
على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه
فالمحب من لايطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا
بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستانست به وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص
محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف بن ابي بكر المحب لايسام
من حديث حبيبه واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني
اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى يارب اين انت فاقصدك
فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه وقال ايضا من لم
يكن فيه ثلث خصال فليس بمحب يوثر كلام الله عز وجل على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق
والعبادة على خدمة الخلق ومنها ان لايتاسف على مايفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تاسفه
على كل ساعة خلت من ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب
والتوبة قال بعض العارفين ان لله عبادا احبوه فاطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على فايته
فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن
تدبيره لهم وحق المحبة اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويسال
ويقول يارب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان
فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد
ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يتاسف ولم يشك واستقبل الكل
بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا مافيه خيرته ويتذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
ومنها ان يتنعم بالطاعة ولايستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين

سنة ثم شغفت بها عشرين سنة قال الجنيد رضي الله عنه علامة المحبة دوام النشاط والدؤوب بشهوة
يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وقال بعضهم العمل على المحبة لا يداخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما يستقل
محب طاعته ولو حل بعظيم الوسايل وكل هذا مثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل
السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان
احب الاشياء اليه ان يعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى
فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل
في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل
ماله ونفسه حتى لم يبق له شي ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا
بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت
تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى تهلك فقلت
هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا
على جميع عباد الله رحيما عليهم شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال
تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم ولا ياخذه لومة لايم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه
وصف الله اولياءه اذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشي ويأوون الى ذكري كما ياوي
النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر
الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشي لم يفارقه اصلا فان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكا
والصياح حتى يرد عليه فان نام اخذه معه في ثيابه فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى
ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب
حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه العلامات فقد
تم محبته وخلص حبه فصفى في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله
تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الابرار ان الابرار
لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي
للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال
كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون ولما كان الابرار يجدون المزيد في حالهم

ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وقال جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فويل
الخالص لما يصرف من الشراب ويقابل المشوب بالمشوب ويشوب كل شراب علي قدر ما سبق من
المشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
فمن كان رغبته في الدنيا رجاء لنعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء
فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه
الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البستان
ويتنعمون في الجنان مع الحور والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها
يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الي ذرة منها فما يقضى شهوة البطن والفرج مشغولون
وبالمجالسة اقوام آخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب
ولما قصرت الافهام عن درك معنى العليين عظم امره فقال وما ادريك ما عليون كما قال القارعة ما
القارعة وما ادريك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خايفا متضايلا تحت الهيبة والتعظيم
وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال
يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض
فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود
هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما يعظم هيبة
البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه
اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط
القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان
يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلعم من استوي يوماه فهو مغبون ومن كان يومه
شرا من امسه فهو ملعون ولذلك قال عليه السلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة
فاستغفر الله وانما كان استغفارا من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون
ذلك عقوبة لهم علي الفتور في الطريق والالتفات الي غير المحبوب كما روي عنه تع انه تبارك وتعالى قال
ان ادني ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا علي طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد

بسبب الشهوات عقوبة العموم واما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوي والعجب والركون الى ما ظهر
من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف
فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابرهيم بن ادهم قايلا يقول في سياحته على جبل كل شي لك مغفور سوى
الاعراض عني قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات مني فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرات
عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابرهيم كن عبدا قال فكنت عبدا واسترحت ثم خوف
السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف
جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث
لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية
سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله المكر به واستدراجه خفي عليه ما ورد من السلو
فيقف مع الرجاء او يغتر بحسن الظن او تغلبه الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان
التي تغلب جنود الملايكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما ان من اوصاف الله تعالى ما يظهر
فيقتضي هيجان الحب وهي اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح فيورث السلو
كاوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال
به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض
والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبلاء وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظايف الاوراد
اسباب هذه المعاني ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل على النقل من مقام الحب الى
مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منه بصفاء المراقبة
دليل صدق الحب فان من احب شيا خاف لا محالة فقده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان
المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف
هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش
ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف
والخايف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلب عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا
يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر
الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم يثبت لها طاقة البشر وانما الخوف يعدله ويخفف وقعه
على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين سال بعض الابدال ان يسال الله تعالى

ان يرزقه ذرة من معرفته نفعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله وولِهَ قلبه وبقي شاخصا سبعة ايام
لا ينتفع بشي ولا ينتفع به شي فسأل له الصديق ربه فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله
اليه انما اعطيناه جزا من ماية الف جزء من ذرة المعرفة وذلك ان ماية الف عبد سالوني شيا من
المحبة في الوقت الذي ساله هذا فاخرت اجابتهم الي ان شفعت انت لهذا فلما اجبتك فيما سالت
اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين ماية الف عبد فهذا ما اصابه من ذلك فقال
سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء بقي فيه عشر معشاره وهو
جزء من عشرة آلاف الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه ومحبته ورجاوه وسكن وصار كساير العارفين
وقد قيل في حال العارف هذه الابيات شعر قريب الوجد ذو مرقى بعيد *
على الاحرار منهم والعبيد * غريب الوصف ذو علم غريب * كان فواده زبر الحديد *
لقد عزت معانيه فغابت * عن الابصار الا للشهيد * يرى الاعياد في الاوقات تجري *
له في كل يوم الف عيد * وللاحباب افراح بعيد * ولا يجد السرور له بعيد * وقد كان
الجنيد ينشد ابياتا يشير بها الي اسرار احوال العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره وهي شعر
سرت باناس في الغيوب قلوبهم * فحلوا بعين الماجد المتفضل * عراص بقرب الله في ظل قدسه
تجول بها ارواحهم وتنقل * مواردهم فيها على العز والنهى * ومصدرهم عنها لما هو اكمل
تروح بعز مفرد من صفاته * وما كمه اولى لديه واعدل * سأكتم من علمي به ما يصونه
وابذل منه ما اري الحق يبذل * واعطي عباد الله منه حقوقهم * وامنع منهم ما اري المنع افضل
على ان للرحمان سرا يصونه * الي اهله في السر والصون اجمل * وامثال هذه المعارف التي
اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من انكشف له شي منها
لمن لم ينكشف بل لو انكشف الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا
بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق
والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير
مما انتشر من العلوم ولكن لله به فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما
ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من
اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من
اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء

ويعظم العقوبة عليه في العقبى وتعجل عليه بالبلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في
حبه حتى يدهش فيه ويضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب
فهو معذور لانه مقهور وربما يشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب
فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول وقالوا قريب قلت ما انا صانع بقرب شعاع الشمس
لو كان في حجري فما لي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري والعاجز عنه يقول
يخفي فيبدي الدمع اسراره ويظهر الوجد عليه النفس ويقول ومن قلبه مع غيره كيف حاله
ومن سره في جفنه كيف يكتم وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله عز وجل بعدا اكثرهم اشارة
كانه يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء
بالله عز وجل ودخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء
فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون
ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة
منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وظهورها ايضا
محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه من الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم
على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله وينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار
الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط
فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق
بحيث لا يعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية فاذا صمت فاغسل
وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا
غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي ان رجلا
رأى من بعض المحبين ما استجهله فيه فاخبر بذلك معروف الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي لهم محبون
صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب
بسببه ان المحب ان كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي
به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف
من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من
حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله ثلاثين سنة باعمال

القلب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيا فذكرت اشيا
من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملايكة بعدد
جميع ما خلق الله من شي فقلت ما انتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ
ثلثماية الف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها
لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى من
الله حق الحيا خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته
واقدامه واحجامه وترددا ته حكي عن الجنيد انه قال مرض استاذي السري رحمه الله فلم نعرف
لعلته دوا ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا قارورة ماية فنظر اليه
الطبيب فجعل ينظر مليا ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي
ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما
ابصره قلت يا استاد وتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت اقول
ما ايبس جلدي على عظمي ولا اسل جسمي الا حبه ثم غشي عليه ويدل الغشية على انه اصح
في غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات الحب وثمراته ومنها الانس
والرضى كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره
الحب فهو اتباع للهوى وهو من رذايل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد
يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك
قال الجنيد رضي الناس في محبة الله عام وخاص فالعوام قالوا ذلك لمعرفتهم في دوام
احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان ارضوه الا انهم يقل محبتهم ويكثر على قدر النعم والاحسان
فاما الخاصة قالوا المحبة لعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا
صفاته الكاملة واسمائه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه فاذا استحق عندهم المحبة بذلك لانه
اهل له ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله ابليس وهو مع
ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقد
فيه هذه العلامات او يلبس بها نفاقا وريا وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا
وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلما السو والقرا السو اوليك بغضا الله في ارضه
وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا

فكيف تقول ههنا فقال في اذن القايل سرا لا يخلو اما ان يكون مومنا او منافقا فان كان مومنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات الحب ابياتا وهي

لا تخدعن فللحبيب دلايل ولديه من تحف الحبيب وسايل
منها تنعمه بمر بلايه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مبذولة والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلايل ان يرى من عزمه طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلايل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلايل ان يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السايل
ومن الدلايل ان يرى متقشفا متحفظا من كل ما هو قايل

وهي ليحيى بن معاذ رضي الله عنه

ومن الدلايل ان تراه مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلايل حزنه ونحيبه جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلايل ان تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلايل زهده فيما يرى من دار ذل والنعيم الزايل
ومن الدلايل ان تراه باكيا ان قد رآه على قبيح حاصل
ومن الدلايل ان تراه مسلما كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلايل ان تراه راضيا بمليكه في كل حكم نازل
ومن الدلايل ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل

قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره على الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فيسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غايب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف وغير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى تالمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن ههنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غايب واذا كان الغايب حاضرا فالى من اشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة

كما حكي ان ابرهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل من اين اقبلت قال من الانس بالله وذلك لان
الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشيا على
القلب كما روي ان موسى عليه السلم لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه
الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما
سواه ولذلك قال بعض الحكما في دعايه يا من آنسني بذكره وا وحشني من خلقه وقال الله عز وجل
لداود عليه كن بي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت
بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب
لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة
راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة
من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تع قال اذا صفي الود وخلصت
المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة وقال بعض الحكما
عجبا للخلايق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استانست بسواك عنك فان قلت فما علامة
الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره
بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر
وشاهد في غيبته وغايب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر
كما قال علي رضه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا
ما استوعر المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة
بالمحل الاعلى اولئك خلفا الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته
وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك
يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصاير اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب
على ذوي القلوب ومنهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل انكر على الجنيد وعلى ابي الحسن
النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام الرضى وقال ليس الا الصبر
فاما الرضى فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشور
فظن انه لا وجود الا للقشور فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين قشر
مجرد ووراءها اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان الجوز خشب كله ولمحال

عند خروج الذهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل شعر

الانس بالله لا يحويه بطال • وليس يدركه بالحول محتال • والآنسون رجال كلهم نجب • وكلهم صفوة لله عمال •

بيان معنى الانبساط والادلال الذي يثمره غلبة الانس اعلم ان الانس اذا دام

وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعا من

الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراة

وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم

في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى

كليمه موسى عليه السلام ان يساله ليستسقي بني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى

ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم

ذنوبهم سرايرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي

يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينا

موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر

السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه

وقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال

في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك نقصت عليك عيونك

ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت

غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى

الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب

في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رايت حين

خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى صلوات الله عليه فاوحى الله اليه ان برخ يضحكني كل

يوم ثلث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق

وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ فقال

يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي عز وجل الا يحرقه فقال ابو موسى رضي الله عنه

اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم

لو اقسموا على الله تعالى لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال

له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي عز وجل ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم
عليها ان شطني قال فعزم عليها فطفيت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي
مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك فقال ضل حماري ولا املك غيره قال فوقف ابو حفص
وقال وعزتك لا اخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره قال فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص فهذا
وعزتك فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس
يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم
وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القايل شعر
قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن
رؤيتهم في عز ما تاهوا ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف
مقامهما ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فهمت وفطنت لجميع قصص القرآن تنبيهات
لاولي البصاير والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار
فاول القصص قصة آدم وابليس اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا
في الاجتباء والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم فقيل
فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم
في الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان
فقال واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما من استغنى فانت له
تصدى وكذلك امر بالقعود مع طايفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام
عليكم وامر بالاعراض عن غيرهم فقال واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم
حتى يخوضوا وقال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول
موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في التعلل
والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق
صدري وقوله اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى من سوء الادب
لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل منه ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا
لما انه اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلث ونودي

عليه الي يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء هو
الغنيمة فنهي نبينا عليه السلم ان يقتدي به وقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت
اذ نادي وهو مكظوم وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها
لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال الله تعالي
ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض وقال بعضهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
فكان عيسى عليه السلم من المفضلين ولادلاله سلم علي نفسه فقال والسلم علي يوم
ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس
واما يحيى بن زكريا عليهما السلم ايتم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه
فقال وسلام عليه وانكر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال بعض العلماء
قد عددت من اول قوله اذ قالوا ليوسف واخوه احب الي ابينا منا الي راس العشرين من اخبار الله
عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة
الثلث والاربع وغفر لهم وعفى عنهم ولم يحتمل لعزير مسيلة واحدة سال عنها في القدر حتى
قيل لعزير لامحون اسمك من ديوان النبوة وكذلك كان بلعم بن باعورا من اكابر العلماء
فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح
فعفي عنه وقد روي ان الله سبحانه وتعالى اوحي الي سليمان عليه السلم يا راس العارفين
ويا ابن محجة الزاهدين الي كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد
مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عطفة من عطفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن
معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان اخبره بما اوحي الله تعالى اليه
فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ويديه نحو السماء وقال الهي وسيدي انت
انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى
الله اليه صدقت يا آصف انت انت وانا انا استقبل التوبة الي فقد تبت عليك
وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر اليه به وفي الخبر
ان الله اوحى الي عبد تداركه بعد ان كان اشفي علي الهلكة كم من ذنب واجهتني
به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنة الله في عباده بالتفضيل
والتقديم والتاخير علي ما سبقت به مشيته الازلية وهذه القصص اوردت في القرآن

ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء الا وهو هدى ونور وتعرف
من الله تعالى الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم بافعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في انبيائه
وفي اعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل
ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلث وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تبارك وتعالى وتقديسه او
معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتمل سورة الاخلاص على احد هذه
الاقسام الثلث وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن وقال من قرا
سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلثة امور لا
يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله تعالى لم يلد ولا يكون هو حاصلا من هو
نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل
عليه قوله لم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد وجملته مفصل قولك لا اله الا الله
فهذه اسرار القرآن ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
ولذلك قال ابن مسعود نوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين والآخرين وهو كما قال ولا
يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى يشهد له كل كلمة منها بانه كلام جبار
قاهر مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القرآن معباة في طي القصص
والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من العجايب ما تستحقر معها العلوم
المزخرفة الخارجة عنها فهذا ما اوردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرته وتفاوت
عباد الله فيه **القول في معنى الرضى بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته**
اعلم ان الرضى ثمرة من ثمار المحبة وهي من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين
وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله التاويل وفقهه في الدين
فقد انكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شيء لانه فعل الله
فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به قوم فراوا الرضا بالفجور والفسق وترك الاعتراض
والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع
ظواهر الشرع كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه

التاويل فلنبدا ببيان فضيلة الرضى ثم بحكايات احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضى وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضى وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي

بيان فضيلة الرضى

فقوله تبارك وتعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال الله تع هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضاء الله عن عبده وهو ثواب رضى العبد عنه وقد قال الله تع ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله تعالى الرضى فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هي غاية مطالب سكان الجنان وفي الحديث ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل واما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سالوا الرضى لانه سبب دوام النظر وكانهم راوا غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضى هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احديها هدية من عند رب العالمين ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تع فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تع سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تع اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تع ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضى الله وهو ثمرة رضى العبد واما الاخبار فقد روي ان النبي عليه سال طايفة من اصحابه ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال النبي صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تع بالقليل من الرزق رضي الله تع عنه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال ايضا اذا كان يوم القيمة انبت الله تعالى لطايفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها

ويتنعمون كيف شاؤا فيقول لهم الملائكه هل رايتم الحساب فيقولون ما راينا حسابا
فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما راينا صراطا فيقولون لهم الملائكه هل رايتم جهنم
فيقولون ما راينا شيا فيقول الملائكه من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون
نشدناكم الله حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تع
هذه المنزلة بفضله ورحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى
باليسير مما قسم لنا فيقول الملائكه يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله تعالى الرضا
من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وفي اخبار موسى عليه السلم انه قال سل لنا ربك امرا
اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلم الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم
يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان يعلم
ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده فان الله تع ينزل العبد منه حيث انزله العبد
من نفسه وفي اخبار داود عليه السلم ما لاوليايي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي
من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليايي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عليه
السلم قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضايي في كرهك
وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضايي في رضاك بقضايي وفي مناجاة
موسى عليه السلم اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني
قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيته له سخط قضايي
وقد روي ما هو اشد منه وذلك ان الله عز وجل قال انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلايي
ولم يرض بقضايي فليتخذ ربا سوايي ومثله في الشدة قوله تع قدرت المقادير ودبرت
التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني
حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تع خلقت الخير والشر وطوبى لمن خلقته للخير
واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن
قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكى الى الله عز وجل الجوع
والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب اليه ثم اوحى الله تع اليه تشكوا هكذا كان بدوك عندي
في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك
قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت

عليك فيكون ما يحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج
في صدرك هذا مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة وروي ان آدم عليه السلم كان بعض
اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج
فيصعد الى راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال
له بعض ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رايت ما لم
تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان
ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وقال
انس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما قال لي لشيء فعلته لم فعلته
ولا لشيء لم افعله الا فعلته ولا قال في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان
وكان اذا خاصمني مخاصم يقول دعوه لو قضي شيء لكان ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلم
يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم
لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد واما الاثار فقد قال ابن عباس رضي
الله عنه ... وسلم اول ما يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال
عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله
وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على
تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل
خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضى عن الله عز وجل
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت
احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة
في رجل محمد بن واسع فقال اني لارحمك من هذه القرحة وقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم
تخرج من عيني وروي في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فارى في المنام فلانة
الراعية رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها واستضافها ثلثا لينظر الى عملها
وكان يبيت قايما وتبيت نايمة ويظل صايما وتظل مفطرة فقال اما لك عمل غير ما رايت فقالت
ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في
ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة

وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع العابد يده على راسه فقال اهذه خصيلة
هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى من السماء
قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم
والرضي بالقدر وقال عمر ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال
الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله ان تساله الرضي وانت
عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون راضيا عن الله
فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده
المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى وقال احمد بن ابي الحواري قال ابو سليمان الداراني ان الله
عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذاك قال اليس مراد
العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه
وقال سهل حظ العباد من اليقين على قدر حظهم من الرضي وحظهم من الرضي على قدر
عيشهم مع الله عز وجل وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح
في الرضي واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط بيان حقيقة الرضى وتصوره
فيما يخالف الهوى اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء الا الصبر واما الرضى
فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به
فلا يخفى ان الحب يورث الرضى بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس
بالالم حتى يجري عليه المولم ولا يحس ويصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في
حال غضبه او حال خوفه قد يصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به
على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قريب قد يصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمه لشغل
قلبه بل الذي يحجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم به فان كان مشغول القلب بمهم من
مهماته فرغ المزين والحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من
الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه
او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء
الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب
بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور

في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف
الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة الظاهرة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة
الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس بها جلال فمن ينكشف
له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امراة
فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة
ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل
له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك
المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي
يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك المه الا انه راض به وراغب فيه ومتقلد من
الفصاد منة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب
الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا
به ومهما اصابته بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته
رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي
يجازى به عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه
لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في
المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا
ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم
مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما
بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما
ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور استيلاء
هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله
المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت بل يبقى بعد الموت حيا
عند الله فرحا برزق الله مستفيدا بالموت مزيد تنبه واستكشاف فهذا امر واضح من
حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود حكايات احوال المحبين واقوالهم فقد
قال شقيق من رأى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد رضي الله عنه سألت

سريا السقطي هل يجد المحب الم البلا قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف
سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شي بحبه حتى لو احب النار احببت دخول
النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم
ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت قال لاني عاشق فقلت ولم سكت قال لان معشوقي
كان بحذائي ينظر الي قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة وخر ميتا
وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة
النظر الى الله تعالى ثمان مائة سنة لا ترجع اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله اذا
لاحظوا جلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا
برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل تاكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا
اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ولو قطعني اربا اربا
ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك محنة بين عبد وبين رب فانكرتها وقال
ابو عمرو محمد بن الاشعث ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه
يوسف الصديق عليه السلم كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس
بالم الجوع بل في القرآن قطع النسوة ايديهن لاستغراقهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك
وقال سعيد بن احمد رايت في البصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي
باعلى صوته والناس حوله وهو يقول شعر يوم الفراق من القيامة اطول والموت من الم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي ترحل ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسالت
عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوما واحدا ويروى
ان يونس عم قال لجبريل دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه
ورجليه وذهب ببصره فسمعته وهو يقول الهي متعتني بها ما شئت انت وسلبتني ما شئت
انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول ويروى عن عبد الله بن عمر انه اشتكى له ابن فاشتد
وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث
فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال
ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية
له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلوة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم

والكلب يحرسهم فجاء الثعلب فاخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى ان يكون
خيرا ثم جاء ذيب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا له فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب
الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من
حولهم وبقوا هم قال وانما آخذ اوليك لما كان عندهم من اصوات الكلب والحمار والديك
وكانت الخيرة في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله فمن عرف خفي لطف الله رضي
بفعله ويروي ان عيسى عليه السلم مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج
وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال
له عيسى عليه السلم يا هذا اي شي من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا
خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك
فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان
به فصحب عيسى عليه السلم وتعبد معه وقطع من عروة بن الزبير رجله الى ركبته من اكلة
خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وايمنك لين كنت اخذت لقد ابقيت
ولين كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وكان ابن مسعود رضي الله عنه
يقول الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر
وان كان الغنى فان فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا
الا الرضا فما لي منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلايق كلهم الجنة وادخلني النار
كنت بذلك راضيا وقيل لعارف آخر نلت غاية الرضا عنه فقال الغاية فلا
ولكن مقام من الرضا قد نلته لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلايق علي الى الجنة
ثم ملا بي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خلقه لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه
وهذا كلام ليس علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار وان بقي
احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعار حصول رضى محبوبه بالقايه اياه
في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة
ولكن لا ينبغي ان يستنكر الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه
عجز عنه الاولياء وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان
وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا

ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال
فلا اعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلثين
سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه
مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة
قال لا تبك فان احبه الى الله احبه الي ثم قال احدثك شيئا لعل الله ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت
ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة
اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا
على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت
له امرأته اهلي فداك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف
واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر ايام وما يسرني اني نقصت
من هذا قلامة ظفر ولما قدم سعد بن ابي وقاص الى مكة وقد كان قد كف بصره جاءه
الناس يهرعون كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة
قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم
فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك
بصرك فتبسم وقال يا بني قضاء الله عندي احسن من بصري وضاع لبعض الصوفية ولد صغير
ثلثة ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد
علي من ذهاب ولدي وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما فانا ابكي عليه منذ
ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو قال
قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب
الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد
تعبد خمسين سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل
انست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلوة قال
نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه انك
لم يفتح لك باب القلب فترقى الى درجات القرب باعمال القلوب وانما انت تعد في طبقة
اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم ودخل جماعة

من الناس على الشبلي في مارستان قد حبس فيه وجمع بين يديه حجارة فقال من انتم قالوا
محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا
على بلائي وللشبلي رحمة الله عليه ان المحبة للرحمن اسكرني وهل رايت محبا غير سكران
وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل ولعله قد كذبه وذلك ان احدكم
لو كان له اصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب
مذموم عند الله والناس يتفاخرون بها والبلاء زينة اهل الآخرة ويستنكفون منه
واحترق السوق فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف
قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره
توبة واستغفارا من قوله الحمد لله فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا
فيما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان
ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله عز وجل وحظوظ الآخرة
قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضى بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود كالرضا
بالحجامة وشرب الدواء انتظار للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراء بل لكونه مراد المحبوب
ورضى له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده
سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل وما لجرح اذا ارضاكم
الم وهذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس
والتجربة والمشاهدة دالة عليه وعلى وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه
لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين
عجايب اعظم مما وصفنا وقد روي عن عمرو بن الحارث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة
عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في مجلس فضربت
بالقصب وغنت علامة ذل الهوى على العاشقين البكا ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى
فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي افتاذنين لي ان اموت فقالت مت راشدا
قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت وقال الجنيد
رضي الله عنه رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي
وقال الى متى هذا النفاق الذي تظهر فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي

مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال
سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل
ليصلح لها حيسا فبينا هو يحرك القدر اذ قالت الجارية اه قال فدهش الرجل وسقطت
الملعقة من يده وجعل الرجل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت اصابعه قال الجارية له
ما هذا فقال الرجل هذا موضع قولك اه وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة
شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول هذا البيت من مات عشقا فليمت هكذا
لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق
في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من
البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو
حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع
ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات
التي لا مظنة لها سوى القلب **بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضى**
وكذلك كراهة المعاصي ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لا يناقضه وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر
من قضاء الله وقدره فيجب الرضى به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما
الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وساير الانبياء على ما
نقلناه في كتاب الدعوات ولقد كان صلى الله عليه وسلم في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى
الله تبارك وتعالى على بعض عباده بقوله يدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها
وعدم الرضى بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضى به فقال ورضوا بالحيوة الدنيا
واطمانوا بها وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد
منكرا فرضي به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود رضي الله
عنه ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال
يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله اخر بالمغرب كان شريكا
في قتله وقد امر الله بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة

فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله تعالى مالا فيسلطه على هلكته في الحق وفي
لفظ آخر ورجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله
مثل ما آتى هذا لفعلت واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد من شواهد
القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقال تعالى وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى اخذ الميثاق على كل مؤمن ان يبغض كل منافق
وعلى كل منافق ان يبغض كل مؤمن وقال عليه السلم المرء مع من احب وقال من احب قوما
ووالاهم حشر معهم يوم القيمة وقال عليه السلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في
الله وشواهد هذا ذكرناه في باب الحب والبغض في الله في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب
الامر بالمعروف فلا نعيده فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضى بقضاء الله تعالى
فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كان بقضاء الله فكراهتها
ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل الى الجمع بينهما وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن
الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين
عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاما
من مقامات الرضى وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضى والكراهة يتضادان
اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد
ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك
وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات
عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته
فترضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضى بما يفعله به ووجه الى العبد
من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه
اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف لك هذا الا بمثال
فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب
فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى فلان فاوذيه واضربه ضربا يضطره
ذلك الى الشتم حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم انه ايضا عدوي
وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب

البغض وحمل البغض الذي هو سبب العداوة لحق على كل من هو صادق في محبته وعالم
بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضه اياه المبغض والعداوة
فانا محب له وراض به فانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان
حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت
فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك
نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره بفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص
وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك
الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث انه مرادك
ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا
مبغض له لان شرط الحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا واما بغضه لك فاني ارضاه
من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من
حيث انه وصف لذلك المبغض وكسبه وفعله وامقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه
ومقته لك ايضا مكروه عندي من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي فانما التناقض
هو ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث
انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره
من وجه ويرضى من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى
يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي
ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله لمن عصاه وان كانت معصيته
بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره لاسبابه
وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته
بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته ويعادي
من ابعده عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود
ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات
القرب ينبغي ان يكون مقيتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من
اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما ورد به الاخبار من البغض في الله والحب في

الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله من حيث انه قضاء
الله وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشية
والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من
قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضى والكراهية فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون
فيه فالاولى السكوت والتأدب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه
وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا
بقضاء الله ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه
وهذا يعرفنا ايضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وساير الاسباب المعينة على الدين غير
مناقض للرضا بقضاء الله فان الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع
القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتوار مزايا اللطف كما
ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضى بقضاء الله في العطش وشرب الماء طلب لازالة
العطش ومباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله وامر به وقد ذكرنا
ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تبارك وتعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب
التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضى لان الرضا مقام يلاصق التوكل ويتصل به نعم اظهار
البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله مناقض للرضى واظهار البلاء على سبيل
الشكر والكشف عن قدرة الله لا يناقض وقد قال السلف من حسن الرضا بقضاء الله ان لا
يقول هذا يوم حار اي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى
مناقض للرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها مناقض للرضا لان مذمة الصنعة مذمة للصانع
والكل من صنع الله وقول القايل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة
كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكه ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه
لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي **بيان ان الفرار من البلاد التي
هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضى** اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر بها الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد
ظهر فيه المعاصي لان كل واحد فرار من قضاء الله وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد
بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيها المطعونون مهملة لا

متعهد لهم فيهلكون هؤلاء ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف
ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب
التوكل واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل من
القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو
اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة
على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت المشرق والمغرب فما رايت
بلدا شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيها نعمة الله وتستصغر فيها معصية الله ولما قدم
خراسان قيل له كيف رايت بغداد قال ما رايت بها الا شرطيا غضبان او تاجرا لهفان او قارئا
حيران ولا ينبغي ان يظن ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به
ويقصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد يستعد للقافلة ستة
عشر يوما وكان يتصدق بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وذم العراق جماعة كعمر بن
عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنه لمولى له اين تسكن فقال العراق فقال فما تصنع
بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق
فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وقيل قسم الخير فجعل تسعة اعشاره بالشام وعشره
بالعراق وقسم الشر بالعكس منه وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل بن عياض فجاء
صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال اين تسكن فقال ببغداد فاعرض عنه
وقال يأتينا احدهم في زي الرهبان فاذا سالناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن
الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها
من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج
من هذا البلد آثر في نفسي قيل واين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم فيمن سئل عن اهل
بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على ان من بلي ببلدة يكثر فيها المعاصي ويقل
فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر قال الله تبارك وتعالى الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن
النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا
تصيبن

الذين ظلموا منكم خاصة فاذا ليس في شي من اسباب نقصان الدين البتة رضي مطلق الامر
حيث اضافها الي فعل الله فاما هي في انفسها فلا وجه للرضا بحال وقد اختلف العلماء في الافضل
من اهل مقامات ثلثه رجل يحب الموت شوقا الي لقاء الله ورجل يحب البقاء لخدمة المولي
ورجل قال لا اختار شيا ارضى بما اختار الله لي ورفعت هذه المسيلة الي بعض العارفين فقال
صاحب الرضى افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري
ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واما اليوم فوددت اني مت
فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال
سفيان لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال
انا لا اختار شيا احب ذلك الي احبه الي الله فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية
ورب الكعبة **بيان جملة من حكايات المحبين واقوالهم ومكاشفاتهم** قيل لبعض العارفين انك
محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد
من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف
وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين بدلا واخذت من كل بدل خلقا من اخلاقه فقيل
له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلم فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد
الخضر رؤيته فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلم انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله
تعالي الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن
مشاهدتك من الله فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك
لنفسك في الله فقال وهذا لا يجوز ايضا ان اطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك
فقال نعم دعوت نفسي الي الله عز وجل فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق
النوم سنة فوفت لي بذلك وحكي عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه انه راي ابا يزيد في بعض مشاهداته
من بعد صلوة العشاء الي طلوع الفجر مستوفزا علي صدور قدميه رافعا اخمصيهما مع عقبيه
عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال
ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك
وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال حتى عد نيفا
وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي قال مذ متي

انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح لك
ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي فاراني الارضين وما تحتها الي الثري
ثم ادخلني في الفلك الاعلي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الي العرش ثم اوقفني
بين يديه فقال سلني اي شيء رايت حتي اهبه لك فقلت يا سيدي ما رايت شيئا استحسنه
فاسألك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء
قال يحيي فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سألته المعرفة به وقد
قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه مني لا احب
ان يعرفه سواه. ويحكى ان ابا تراب النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم
بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده. فقال له ابو تراب من قوله يوما لو رايت ابا يزيد
فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا يزيد هاج وجد المريد
فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد وقد رايت الله تع فاغناني عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج
طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله عز وجل لو رايت ابا يزيد مرة واحدة كان انفع
لك من ان تري الله سبعين مرة قال فبهت الفتي من قوله وانكره فقال وكيف ذلك قلت له
ويلك انما تري الله تع عندك فيظهر لك علي مقدارك وتري ابا يزيد عند الله قد ظهر له علي مقداره
فعرف ما قلت فقال احملني عليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا علي تل ننتظره ليخرج علينا
من الغيضة وكان ياوي الي غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة علي ظهره فقلت
للفتي هذا ابو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتي فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا علي دفنه
فقلت لابي يزيد يا سيدي نظره اليك قتلته قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن
في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام
الضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع
الي سهل اخوانه فقالوا لو سالت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عباد في هذه البلدة
لو دعوا علي الظالمين لم يصبح علي وجه الارض ظالم الا مات في ليلته ولكن لا يفعلون
قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تع اشياء لا يستطاع ذكرها حتي قال
ولو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في انفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا
ينبغي ان يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب

الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى
لاغاية له ولذلك كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابرهيم
فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به
وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين
لقد كوشفت باربعين حوراء رايتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة
وجوهر تتخشخش وتتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما ثم كوشفت
بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغمضت
عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم ازل اتضرع حتى
صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المومن لافلاسه عن مثلها فلو لم
يومن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان
بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص
واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك
عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهي اوايل سلوكهم واقل مقاماتهم
وهي اعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات
الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة
وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحديد اذا شكلت
ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلم
قد استولى عليه الصدى والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر ما انكاره ذلك
غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره
عنه وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في انكار قدرة الله بل انما يشم روايح المكاشفة
من سلك شيئا ولو من مبادى الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال
كنت كاتما لله تعالى حالي معناه اساله ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه راى الخضر عليه السلم
فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسترها عليك فقيل معناه
سترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا يلتفت انت اليها وعن بعضهم انه قال قلقني الشوق
الى الخضر فسالت الله تعالى مرة ان يريني اياه ليعلمني شيئا كان اتم الاشياء علي قال فرايته

فما غلب علي همي ولاهمتي الا الان قلت له يا ابا العباس علمني شيئا اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة
فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل علي كثيف سترك
وحطّ علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني في عيون خلقك قال ثم غاب
فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما تركت ان اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار بحيث
كان يستذل ويمتهن حتى كان اهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق بحمل الاشيا
لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به فكان راحته ووجود قلبه واستقامة حاله
في ذله وخموله فهكذا حال اوليا الله تع ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم
تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى
على اوليائه تابي الا اخفاءهم كما قال تعالي اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال النبي صلى الله عليه
وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام
هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها
القلوب المنكسرة المستشعرة ذل انفسها استشعارا اذا اذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس
العبيد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر ايضا بعدم التفاته الي الذل
بل كان عند نفسه اخس منزلة من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك
حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له ان يستنشق مبادي هذه
الروايح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان
بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اوليا الله فليكن محبا لاوليا الله مومنا بهم فعسى
ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى صلوات الله عليه قال لبني اسرائيل اين
ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب
ولقد انتهى المريدون لولاية الله تع في طلب شروطها باذلال النفس الي منتهى الضعة والخسة حتى روي
عن استاد الجنيد وهو ابن الكريبي ان رجلا دعاه ثلث مرات الي طعامه ثم كان يرده ثم يستدعيه
فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل
عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمي له عظم فيعود ولو رددتني
خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح
فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعينت علي ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي

فوقها فخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني
ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله
من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن الله تع وشغله بنفسه
حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل حايل وانما بعد القلوب شغلها بغيرها
او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي ان شاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام
كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر
واقوم الليل لا انام ولا اجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيا وانا اصدق به واحبه فقال
ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب
بنفسك قال فلهذا دوا قال نعم قال قل لي حتى اعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى اعمل قال
اذهب الساعة الى المزين فاحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في
عنقك مخلاة مملوة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة اعطيته جوزة
وادخل الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على ذلك فقال الرجل سبحان الله
تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لانك عظمت نفسك
فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل
شي فقال لا اطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دوا من
اعتل بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي عن هذا المرض دوا سوى هذا
واما من لا يطيق الدوا فلا ينبغي ان ينكر امكان الشفا في حق من داوى نفسه
بعد المرض او لم يمرض بمثل هذا المرض اصلا فاقل الدرجات صحة الايمان بامكانها فويل
لمن حرم هذا القدر القليل ايضا وهذه امور جلية من الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة
عند من يعد نفسه من علما الشرع فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان
حتى يكون قلة الشي احب اليه من كثرة الشي وحتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف
وقال ايضا ثلث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لايم ولا يرايي بشي من عمله واذا
عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للآخرة اثر امر الآخرة على امر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
لا يكمل ايمان العبد حتى يكون فيه ثلث خصال من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا
رضي لم يدخله رضاه في باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي حديث آخر ثلث من اوتيهن فقد

اوتي مثل ما اوتي آل داود العدل في الرضي والغضب والقصد في الغنا والفقر وخشية الله في
السر والعلانية فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لاهل الايمان فالعجب ممن يدعي علم الدين
ولا يصادف في نفسه ذرة من هذا الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله ان يجحد ما لا يكون
الا بعد مجاوزة مقامات عظيمة وراء الايمان وفي الاخبار ان الله تع اوحي الي بعض انبيائه انما
اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له غيري ولا يوثر علي شيا من خلقي وان حرق بالنار
لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما فمن لم يغلبه الحب الي هذا
الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب
وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له ولذلك قال
النبي صلعم للصديق رضي الله عنه ان الله تع قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي واعطاني
مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم وفي حديث آخر ان لله تعالي ثلثمائة خلق من لقيه بخلق
منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر يا رسول الله هل فيّ خلق منها فقال كلها فيك
يا ابا بكر واحبها الي الله تع السخا وقال النبي صلى الله عليه وسلم رايت ميزانا دلي من السما فوضعت في
كفة ووضعت امتي في كفة فرجحتهم فوضع ابا بكر رضع في كفة وجي بامتي فوضعت في كفة
فرجحهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تع بحيث لم يتسع قلبه
للخلة مع غيره فقال لو كنت اتخذت من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تع
يعني نفسه **خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة يتعلق بالمحبة ينتفع بها** قال سفيان المحبة
اتباع الرسول عليه السلام وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقا
في الدنيا وهذا كله اشارة الي ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة
معني من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب عن ادراكه ويمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد
حرم الله تع المحبة علي صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة
وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل للشبلي صف لنا العارف والمحب
فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي شعر يا ايها السيد الكريم
حبك بين الحشا مقيم · يا رافع النوم عن جفوني · انت بما مر بي عليم · ولغيره
عجبت لمن يقول ذكرت ربي · وهل انسى فاذكر ما نسيت · اموت اذا ذكرتك ثم احيا · ولولا حسن ظني ما حييت
فاحيي بالمنى واموت شوقا · فكم احيي عليك وكم اموت · شربت الحب كاسا بعد كاس · فما نفد الشراب وما رويت

فليت خيالا نصب عيني فانا تصرت في نظري عميت وقالت رابعة يوماً من يدلنا على حبيبنا
فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا وقال ابن الجلاء اوحى الله تع الى عيسى عليه السلم
اني اذا اطلعت على سر عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي
وقيل تكلم سمنون يوماً في المحبة فاذا بطاير نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى
سال منه الدم فمات وقال ابرهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة عندي لا تزن جناح بعوضة
في جنب ما اكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال سري السقطي
من احب الله تعالى عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لا شي اي لا شي وقيل
رابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت انا والله لاحبه حباً شديداً ولكن حب الخالق
شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى صلوات الله عليه عن افضل الاعمال فقال الرضى عن
الله والحب له وقال ابو يزيد رضي المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال
الشبلي رضي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا
يبقى فيك شي راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح وقال
الخواص رضي المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل رضي عن المحبة
فقال عطف الله تع بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع
منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين
تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه
عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة
ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال عبد الله بن محمد
سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت من
الحيوة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً الى الله تع وحباً للقائه قال فقلت لها فعلى
ثقة انت من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه واوحى الله تع
الى داود عم لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم
لماتوا شوقاً الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف
ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون
بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي وقال ابو خالد الصفار لقي نبي من الانبيا

عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امرلسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي اوحى الله تعالى الى داود يا داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين واوحى الله تعالى الى آدم يا آدم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في سيره وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال الجنيد بكى يونس عليه السلم حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك وعن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سننه فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله عز وجل انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضاء غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تع وارواح المومنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر ويقول انما الشوق والهوى اصيراني كما ترى ويقال الشوق نار الله اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضى فلنقتصر عليه والله اعلم بالصواب

م

كتاب النية والصدق والاخلاص

وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين ونشهد ان لا اله الا هو رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين ان يعبدوه عبادة المخلصين فقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فما لله الا الدين الخالص المبين فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه محمد سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال تعالى في كل عمل بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية وكيف يخلص من صحح اذا لم يفهم حقيقة الاخلاص او كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله تعالى ان يتعلم النية لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذين هما وسيلة العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلاثة ابواب الباب الاول في حقيقة النية ومعناها الباب الثاني في الاخلاص وحقائقه الباب الثالث في الصدق وحقيقته

الباب الاول في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال النبي صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته

الى دنيا يصيبها او الى امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم اكثر
شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا
ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة
النية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فيصعد بها الملائكة في صحف
مختمة فيلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد به وجهي ثم ينادي
الملائكة اكتبوا له كذا واكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول انه نواه
انه نواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل
بعلمه وماله فيقول رجل لو آتاني الله عز وجل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء
ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل
ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه في النية في محاسن عمله
ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك رضي الله عنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك قال ان بالمدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار
ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركوا بحسن النية وفي حديث ابن
مسعود رضي الله عنه من هاجر يبتغي شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر
ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل
رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن
النبي صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا
يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
عليه السلام ليس له من دنياه وآخرته الا ما نوى وقيل الا ما جعلت له وروي في الاسرائيليات
ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته
بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك
واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة من هم بحسنة ولم
يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره

بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن يكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع
عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فيهم المكره والاجير فقال
يحشرون على نياتهم وقال عمر رضي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون
على النيات وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة يكتبون الخلق على مراتبهم
فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا قتل فلان في
سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلعم
انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة اذا التقى المسلمان
بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه
اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي
اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من تطيب لله تع جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة
وريحه انتن من الجيفة واما الآثار فقد قال عمر بن الخطاب رضي افضل الاعمال اداء
ما افترض الله تع والورع عما حرم الله تع وصدق النية فيما عند الله عز وجل وكتب سالم بن عبد الله
الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تع للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان
نقصت نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره
النية وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته
نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية
للعمل كما تتعلمون العمل وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ومادمت تنوي
الخير فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يدلني على عمل لا ازال
فيه عاملا لله تع فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من الليل او النهار الا وانا عامل من عمال
الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان
الهام بعمل الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله تعالى عليكم اكثر من ان تحصوها
وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك
وقال عيسى صلوات الله عليه طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال

ابو هريرة يبعثون يوم القيمة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التورية ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غيري فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل فلم يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع فلم يدعه حتى ينظر في نيته فاذا نوى فان صلحت النية فبالحرى ان يصلح ما دون ذلك فاذا عماد الاعمال النيات فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعايق

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم تقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلثه امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلايم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملايم الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب ويهرب فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا فهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تع له الميل والرغبة والارادة اعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد لتناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المحركة حتى يحصل به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة والظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا انجزمت المعرفة بان الشيء موافق فلا بد وان تنفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق

الميل فاذا انبعثت انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء والقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة
لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس
بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال او في المآل فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب
وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض
القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث
واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث
لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة وقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض القدرة
وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض
عاضدا له ومعاونا فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول
فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكما رآه قام من موضعه
فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه راى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى الهرب
ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع لا
نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة
الى الغرض الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته واما الثاني فهو ان يجتمع
باعثان كل واحد مستقل بالانتهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان
على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يسأله
قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة
وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء
حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة
فصام وهو يعلم انه لولا عرفة لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يترك لاجل انه عرفة
وقد اجتمعا جميعا فاقبل على الفعل فالباعث الثاني رفيق الاول فلنسم هذا مرافقة البواعث
الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس
ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني
فيطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب
فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين

يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد
الثواب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على
العطاء ولما اجتمعا اورث بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة والرابع ان يكون
احد الباعثين مستقلا لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة
والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل
ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويوثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا ان
يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضرت في وقتها جماعة من الناس
فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم ان
عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب يطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث
الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الان بيان
اقسام النيات فان العمل تابع للباعث فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات
لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع بيان سر قوله صلعم نية المومن
خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله والعمل ظاهر
ولعمل السر فضل وهذا صحيح وليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله بقلبه او يتفكر في مصالح
المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان يكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب
الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان
العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة
والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان يكون نيته خيرا من عمله وقد يقال معناه ان النية بمجردها خير من
العمل بمجرده دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة
لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى ان كل طاعة
ينتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة
الطاعة خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية
المومن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية
وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونها خيرا ومترجحا على العمل
فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطرق في الايصال الى المقصد وقاس

بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال الخبز خير من الفاكهة
فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء
مقصدا وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها
بالبعض والطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها
وتنعمها بلقاء الله تبارك وتعالى فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط ولن يتنعم بلقاء الله
تبارك وتعالى الا من مات محبا لله عارفا بالله ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس به الا من طال
ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن
يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا
انقطع عنها شهواتها حتى يصير مائلا الى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبغضا له وانما يميل الى
الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة
لعلمه بان سلامته فيها واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة
عليها فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك
الصفة حتى ترسخ الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون
ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال
المطلوبة بها تاكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر
وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو اتبعه وعمل
بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمجاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره
فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت
والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او
ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور
كلها هي التي تراد بها الدنيا للدنيا لا للآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيا
هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي
بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى يتاثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا
اصابته جراحة تالم القلب وترى القلب اذا تالم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف
تاثرت الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والراعي

فالجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيها فالقلب هو المقصود
والاعضاء آلات موصلة الى المقصود للقلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان في جسد ابن آدم لمضغة اذا
صلحت صلح لها ساير الجسد واذا فسدت فسد لها ساير الجسد الا وهي القلب وقال عليه السلم اللهم اصلح
الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوي
منكم وهي صفة للقلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان يكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات
الجوارح ثم يجب ان يكون النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادة له وغرضنا من
الاعمال بالجوارح ان تعوّد القلب ارادة الخير وتوكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر
والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تالمت
فقد يداوى بان يوضع الطلاء على الصدر ويداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء
الصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع فهكذا
ينبغي ان يفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح
فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرض من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم
العادة يوكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها
بصورة التواضع تاكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة في
قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من مسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه مسح
ثوبا لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه بتاكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض
الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه بتاكيد التواضع فكان وجودها كعدمها
وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية
باطلة وهذا معناه هذا اذا فعل من غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده
كعدمه بل زاده شرا فانه لم يوكد الصفة المطلوب تاكيدها حتى اكد الصفة المطلوب قمعها وهو صفة
الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير
وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا فليس المقصود
من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا لوجه الله وهذه الصفة
قد حصلت عند جزم النية والهمة وان عاق عن العمل عايق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها

ولكن يناله التقوى والتقوى ههنا اعني القلب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة
قد شركونا في جهادنا كما رويناه لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في
طلب الشهادة واعلاء كلمة الله كقلوب الخارجين وانما فارقوهم بالابدان لعوايق تختص بالاسباب
الخارجة من القلب وذلك غير مطلوب الا للتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني يفهم جميع الاحاديث
التي اوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليه لينكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة **بيان
تفضيل الاعمال المتعلقة بالنية** اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل واحد
وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي
ثلثة اقسام طاعات ومعاص ومباحات القسم الاول المعاصي وهي التي لا تتغير عن موضوعاتها
بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات
فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم
فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بالمال الحرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية
لا تؤثر في اخراجها عن كونها ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى
الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله فطلب العلم فريضة
على كل مسلم والخيرات انما عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات
بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب
الجاه واستمالة قلوب الناس وساير حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل
ولذلك قال سهل ما عصي الله تعالى بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد
من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم
فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله تعالى به العلم وراس العلم العلم
بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل
بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسايلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل
ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية لجهله فهو غير معذور الا اذا كان
قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة التعلم وقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على
جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه وتقرب من تقرب من السلاطين ببناء المساجد بالمال الحرام

كثرت العلماء السوء بتعليم العلم للعلماء والاشرار المشغولين بالفسق والفجور المقصورين هممهم على مماراة
العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين والمساكين
واليتامى فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب
على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر
ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله
جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية من
اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثاره الشر منتشرة في
العالم الف سنة والفي سنة وطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث
يقول انما الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية
منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر
بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه
عمن وهب سيفا من قاطع الطريق واعد له خيلا واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخاء والتخلق
باخلاق الله تعالى وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والخيل فان اعداد الخيل والرباط والقوة للغزاة
من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع العلماء على ان ذلك حرام مع ان
السخاء هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ثلثمائة خلق من تقرب
اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء وليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم يجب عليه ان
ينظر الى قرينة حاله فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه
لا في ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى
فمن لا يزال مؤثرا للدنيا على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع
علم يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فلو رأوا منهم
تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا رأوا منه فجورا او استحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالستهم
وتركوا تكليمه فضلا من تعليمه لعلمهم بان من يعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا
آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكى
بعض اصحاب احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار
لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حائط دارك من جانب الشارع

فقد اخذت قد سمك الطين وهي انملة من شارع المسلمين فلا تصلح انت لتعلم العلم فهذا كان مراقبة السلف
لاحوال الطلبة العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة
والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعنى الفضل من العلوم التي لا يشتمل على التحذير
من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل
الى جميع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات
يختص من الاقسام الثلثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد
وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا ينقلب طاعة بالقصد
اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها
كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف
فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل
فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية
ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم يضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود
في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضايل اعمال المتقين ويبلغ
به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زاير له فيقصد به زيارة مولاه رجاء
لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تع وحق على المزور
اكرام زايره وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون في جملة انتظاره في الصلوة وهو معنى
قوله تع ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان
الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم رهبانية
امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله تع ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل
الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله او لاستماع ذكره او للتذكر به كما روي
من غدا الى المسجد يذكر الله تع او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة
علم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلوته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره
بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته
وسابعها ان يستفيد اخا في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل
الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من ان يتعاطى

في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه
الله احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله تعالى او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة يدله على هدى
او تصرفه عن ردى او يترك الذنب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات
اذ ما من طاعة الا ويحتمل نيات كثيرة وانما يحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره
فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنة القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات
الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران
من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات
والخطوات واللحظات فكل ذلك يسال عنها في القيمة انه لم فعلها وما الذي قصد بها هذا في مباح محض
لا يشوبه كراهة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ
بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليسال يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه
وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه
اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح
ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالتطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف
يتطيب لله فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي ساير الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات
الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه
في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن
ولامور اخرى مما لا يحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فيه يكون انتن من الجيفة في القيمة الا القصد
الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسال عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن
اوتي شيئا من مباح الدنيا لا يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك
خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم يبقى واما النيات الحسنة في التطيب بان ينوي به اتباع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد بيت الله فلا يرى ان يدخلها
زائر الله الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد
دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة على المغتابين
اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو
شريك في تلك المعصية كما قيل اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر
شر وان تقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه في الفكر
فقد قال الشافعي من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان
تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم يحضره هذه النيات
وان ذكرت له لم تنبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء
والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد غيرها ولهذا قال بعض السلف
اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي ونومي ودخولي الخلاء وكل ذلك مما يمكن
ان يقصد به وجه الله لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو
معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب
قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله تع بعده فيكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا
باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم
الآخرة وكذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب
غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وسينقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن
الجواب وفي الخبران العبد ليحاسب فيبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر
له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها فيقال هي
اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبران العبد ليوافي القيمة بحسنات امثال الجبال
لو خلصت له لدخل الجنة ويأتي قد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته
ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله
القوا عليه من سيآتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من سكناتك
وحركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فان الله مطلع
عليك وشهيد وما تلفظ من قول الا لديك رقيب عتيد وقد قال بعض السلف كتبت كتابا واردت
ان اتربه من تراب جاري فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته فهتف لي هاتف سيعلم من
استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه
فمد اليه ليصلحه ثم قبضه فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله تع ولا اريد ان اسويه
لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله

ما اعرفك يقول بل انا اخذت لبنة من حايطي واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاختيار
قطع قلوب الخايفين فان كنت من اولي الحزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن
ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تحرك ما لم
تتامل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي ينفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا
على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم
راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولابد له من نية صحيحة فلا
ينبغي ان يكون الداعي هوى خفي لا يطلع عليه ولا تغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات
وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن زكريا صلوات الله عليه انه
كان يعمل في حايط بالطين وكان اجير القوم فقدموا له رغيفه اذ كان لا ياكل الا من كسب يده
فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخايه وزهده وظنوا
ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيف لاتقوى
على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن
بنور الله فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل ولا حكم للفضايل مع
الفرايض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني
اخذت بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة
في ان ياكل فان اجابه فاكل فعليه وزران فان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين
النفاق وبالثاني تعريض اخيه لما يكره لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في ساير
الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم يحضره النية توقف فان النية لا يدخل تحت الاختيار
ببيان ان النية غير داخل تحت الاختيار اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية
بتحسين النية وتكثيرها مع قوله عليه السلم الاعمال بالنيات يقول في نفسه عند تدريسه
او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر لله او اكل لله ويظن ان ذلك نية وهيهات
فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل من
جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما
عاجلا او آجلا والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان
نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه

بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتسا

اسبابه وذلك ما قد يقدر عليه وقد لا يقدر وانما ينبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث

الموافق للنفس الملايم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه

نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان

فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف

لها اسباب كثيرة بها يجتمع ويختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلب شهوة النكاح

ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية

قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم

يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن

ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم

طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى

في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة

وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبته الى تحصيل الولد للثواب فتحركه

تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد

طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده

في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم

يحضرهم النية فكانوا يقولون ليس يحضرني فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري

وقال ليس يحضرني نية ونادى بعضهم امراته وكان يسرح شعره ان هات المدرى فقالت اجيء بالمراة

فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المراة فتوقفت

حتى هياها الله تع ومات حماد بن ابي سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته

فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تع نية فعلنا وكان

طاوس لا يحدث الا بنية وكان يسال ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدي فقيل له في ذلك فقال

افتحبون ان احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت وحكي ان داود المحبر لما صنف كتاب العقل

جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال

له داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت

قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين الذي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله
خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة
رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب
داره انصرفت فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا
تغير النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية وكانوا لا يرون
ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح الاعمال وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب
مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هو قول القائل بقلبه نويت بل هو انبعاث القلب يجري
مجرى الفتوح من الله تعالى فقد تتيسر في بعض الاوقات وقد تتعذر نعم من كان الغالب على قلبه امر
الدين تيسر عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مايل بالجملة الى اصل الخير فينبعث
الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له في الفرايض الا بجهد جهيد
وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما ينبعث
له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه
الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها فضلا
عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف
فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا
بالاضافة الى قصد طاعة الله والتعظيم لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة
لانه ميل الى الموعود في الآخرة وان كان من جنس المالوف في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج
والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة والعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته
درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب لا تجاوز ذكر الله
تعالى والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وساير الاعمال تكون موكدات وروادف وهولاء ارفع درجة
من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلاجرم يتنعمون بالنظر الى وجهه
الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن
يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين الجمال الحضرة
الربوبية وجمال الحور العين اشد الحور واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال العين والصور المصنوعة

من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان واعراضها
عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها والفها لها واعراضه عن النظر
الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك
جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل وذهن لاستحقت عقل من
يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم راى احمد بن خضرويه
ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني وراى ابو يزيد ربه في المنام
فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعالى وروي الشبلي في المنام وقيل ما فعل
الله بك فقال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من
خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما
لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا وافعالا يستنكرها الظاهريون من
الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة
اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من
الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون
له نية في الشرب والاكل والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث
نيته في الحال للصوم والصلوة فالاكل والنوم هو الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن
نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له من الصلوة
قال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي باللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا
القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقايق لا يدركها الا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق
بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد
اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في لعب الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا
ليتوصل به الى الغلبة وضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يقبل الهزيمة
ويولي الخصم دبره ليستجره الى مضيق فيكر عليه فيقهره وكذلك سلوك طريق الله كله قتال مع
الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء
فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي
ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان ينكشف له اسرارهما بان يبلغ

رتبتهما ومينال درجتهما الباب الثاني في الاخلاص
وفضيلته وحقيقته ودرجاته في بيان فضيلة الاخلاص قال الله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى الا لله الدين الخالص وقال الله تع الا الذين تابوا واصلحوا
واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال الله تع فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا نزل فمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث لا يغل
عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تع وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له
فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انما نصر الله عز
وجل هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلعم
حكاية عن الله تع الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال علي رضه
لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك
منه القليل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخلص العمل لله اربعين يوما الا ظهرت
ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال النبي صلى الله عليه وسلم يسال يوم القيمة ثلثة رجل
آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم آناء الليل
والنهار فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد
قيل ذلك ورجل آتاه الله المال فيقول الله تع قد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب
كنت اتصدق آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت اردت ان
يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله ماذا صنعت
فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت ويقول الملائكة كذبت
بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة فدخل
راوي الحديث على معاوية وروى فبكى حتى كادت تخرج نفسه ثم قال صدق الله اذ قال
صدق الله اذ قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وفي الاسرائيليات ان عابدا
كان يعبد الله تع دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله
فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة
شيخ فقال اين تريد رحمك الله فقال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت

عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال ابليس فاني لا
اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه الي الارض وقعد علي صدره فقال ابليس اطلقني
حتي اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالي قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك
وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالي انبياء في الارض ولو شاء لبعثهم الي اهلها وامرهم
بقطعها قال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد علي
صدره فعجز ابليس لعنه الله فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال
وما هو قال اطلقني حتي اقول لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شي لك انما انت كل
علي الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل علي اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن
الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين
اذا اصبحت اخذتهما فانفقت علي نفسك وعيالك وتصدقت علي اخوانك فيكون ذلك انفع
لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك
المومنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع
هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده
علي الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الي متعبده فبات فلما اصبح راي دينارين عند راسه
فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فاسه علي
عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال له الي اين فقال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت
والله ما انت بقادر علي ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة
فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس علي صدره
وقال يا هذا لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا
غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن قال لانك غضبت اول مرة لله وكانت
نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية
تصديق قوله تعالي الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص
ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب
المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبي لمن صحت له خطوة
واحدة لا يريد بها الا الله تعالي وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الي ابي موسي الاشعري من خلصت

نيته كفاه الله تع ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك
القليل من العمل وقال ابو ايوب السختياني تخلص النيات على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان
مطرف يقول من صفى صُفي له ومن خلّط خُلط عليه ورآي بعضهم في المنام وقيل له كيف وجدت
اعمالك قال كل شي عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطها من طريق وحتى هرة ماتت لنا
رأيتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة السيئات وكان
قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار
ليس فيها فقيل له انه قد وجه حيث بعثت كما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو
قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية وتصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم
الي فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه فاحسن اليه وقال
يحيى بن معاذ رضي الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل
يخرج في زي النساء ويحضر موضعا فيه عرس او ماتم قد يجتمع فيه النساء فاتفق ان حضر يوما موضعا
فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة
واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة فدعا الله تع بالاخلاص فقال ان نجوت من هذه الفضيحة
لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المراة وصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة
وقال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة فمر
بعض اخواني من الابدال فسارّه بشي فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب
عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سالني ان احج معه فقلت لا فقال فهلا فعلت قال
ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله اتعرض
لمقت الله تع لاني ادخل في عمل الله تعالى شيا غيره فيكون ما انا فيه هو اعظم عندي من سبعين
حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في
غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها وربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في النوم
كان شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملا عليه فقال اكتب
خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال اكتب
خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا
للغزو وقال لي يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوها تاجرا

فنظر الى صاحبه وقال المازري فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها
حتى يحكم الله عز وجل فيه ما يرى وقال السري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب
سبعين حديثا او سبع مائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز
ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه
ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص
فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال
الجنيد رضي ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب
البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل بك منه وفعل منك له فترضى
ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين **بيان حقيقة**
الاخلاص اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا
ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تبارك وتعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا
للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به
والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان الشرك درجات فالاخلاص في التوحيد
يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان
على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع
الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة
الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص
ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع شوائبه كما ان
الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو
معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واول مورد
ما ورد في الخبر من ان المرائي يدعى في يوم القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك
يا كافر وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما
من الرياء او من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد
التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يتخلص
من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه

فاراد ان يسرع عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر
وجرها او يصلي بالليل لغرض في دفع النعاس عن نفسه بر ليراقب رحله او اهله او يتعلم
العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره او ماله
محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة
الحديث او تكفل بخدمة العلماء او الصوفية ليكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس ولينال
به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او حج ماشيا ليخفف عن
نفسه الكراء او توضأ ليتنظف او يتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او روى الحديث ليعرف
بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد
في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه
في السؤال عن نفسه او يعود مريضا او يشيع جنازة ليعاد اذا مرض ويشيع جنائز اهله او يفعل
شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله
ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج
عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال الله تعالى انا اغنى
الشركاء عن الشركة فمن عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بري وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا يستريح
اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان
مرتبك في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض
عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له في عمره خطرة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك
لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث فيه الا طلب القرب
من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا
فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضافت هذه الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان تكون في
رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة المعاونة كما سبق في باب النية وبالجملة فاما ان يكون
الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما
الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون
فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب
الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من

حيث انه ضرورة الحيلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يتقوى به على عبادة الله تع ويتمنى لو كفي
شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائد على الضرورة ويكون
قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينية فلا يكون له هم الا الله فمثل هذا الشخص لو اكل او
شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكونه فلو نام مثلا ليريح
نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك
فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة
فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا
والعلو والرياسة وبالجملة غير الله اكتسب جميع حركاته تلك الصفة فلا يسلم له عباداته وصومه
وصلاته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث
يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن
انه خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيه مغرورا لانه لا يدري وجه الآفة فيه كما حكي عن بعضهم
انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تاخرت يوما
بعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني
فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان شرني وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر
وهذا دقيق غامض وقلما يسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون
حسناتهم في الآخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله تع وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم
سيآت ما عملوا وبقوله تع قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين
على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان
يلبس عليهم ذلك ويقول غرضك نشر دين الله والنضال عن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى
الواعظ يمن على الله بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه
وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف
الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تع اذ كفاه الله هذا المهم
بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس
منك لو اتعظوا بقول غيرك لكنت انت المثاب واغتمامك بفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين ان

انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري
لو اغتم عمر رضي بتصدي ابي بكر للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يسترب ذو دين ان ذلك كان
مذموما الان انقياده للحق وتسليمه الامر الي من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق
مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي باستقلال من هو اولي منه بالامر فضلا بال العلماء لا يفرحون
بذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولي منه بالامر
لفرح به واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة
القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك
لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر
عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثني في قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين
فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقايق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد روية الاخلاص لان من
شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الي اخلاص وما ذكره اشارة الي تصفية العمل
عن العجب بالفعل فان الالتفات الي الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص
ما صفي عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد
وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص
صدق النية مع الله تعالى وقيل لسهل اي شي اشد علي النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب
وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذا اشارة الي ان
حظوظ النفس آفة عاجلا وآجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل
الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الي اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق
فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الي الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب
حظ الآخرة البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تبارك وتعالى فقط وقول
القايل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعاه فهو كافر
وقد قضي القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية
وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهي الشهوات الموصوفة
في الجنة فقط واما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الي وجه الله فهذا حظ هولاء وهذا